حضرموت

فصول في التاريخ والثقافة والثروة

كتبها

العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف
العلامة محمد بن عقيل
الأستاذ علي أحمد باكثير
الأستاذ صلاح البكري
الأستاذ طه بن أبي بكر السقاف
الأستاذ أحمد عوض باوزير
الأستاذ علي عبود العلوي
الأستاذ أحمد طه السنوسي
الأستاذ عبد الله حسن بلفقيه
الأستاذ علوي عبد الله طاهر
الدكتور د. ب. سارجنت

جمع مادتها وقدم لها
د. محمد ابو بكر حميد

حضرموت

فصول في التاريخ والثقافة والثروة

جمع مادته وقدم له

الدكتور محمد أبو بكر حميد

بأقــــلام

- العلامة عبدالرحمن بن عبيد الله
- العلامة محمد بن عقيل
- الأستاذ علي أحمد باكثير
- الأستاذ صلاح البكري
- الأستاذ طه بن أبي بكر السقاف
- الأستاذ أحمد عوض باوزير
- الأستاذ علي عبود العلوي
- الأستاذ أحمد طه السنوسي
- الأستاذ عبدالله حسن بلفقيه
- الأستاذ علوي عبدالله طاهر
- الدكتور د. ب. سارجنت

الناشر

جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير الثقافية

٦٠ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
حميد ، محمد ابو بكر
حضر موت : فصول في التاريخ والثقافة والثروة .- الرياض
١٩٠ص ، ٢٤ سم
ردمك : ٣-٢٣٥-٣٦-٩٩٦٠
١- حضر موت - تاريخ أ - العنوان
ديوي ٩٥٣،٣ ٢٠/١٩٠٦

رقم الايداع : ٢٠/١٩٠٦
ردمك : ٣-٢٣٥-٣٦-٩٩٦٠

إهـــداء

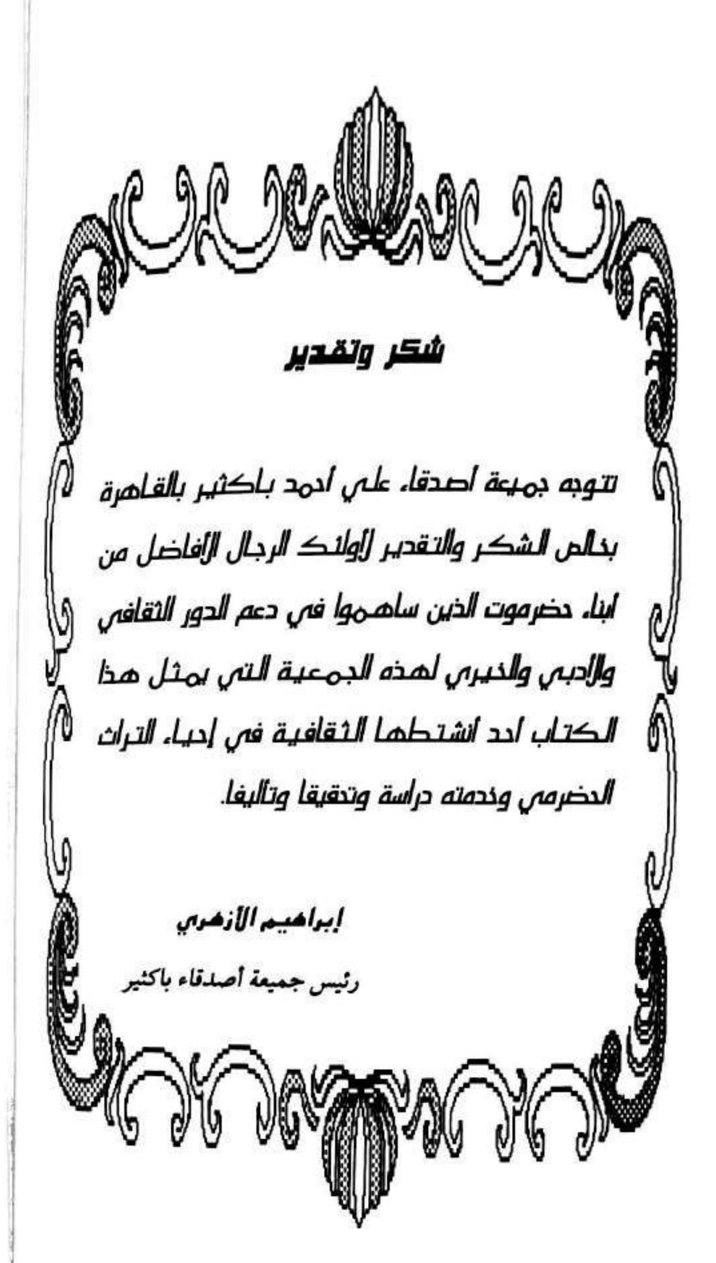
الى الأجيال المتعاقبة من أحفاد المهاجرين الحضارم في كل مكان ليعرفوا شيئا عن الوطن الذي تعود جذورهم إليه

والى أبناء جزيرة العرب لأن حضرموت جزء من جزيرتهم عرفوا أهلها ولم يعرفوها

والى كل عربي، ومسلم متعطش لمعرفة المزيد عن أوطانه الضاربة الجذور في التاريخ والأصالة والعراقة

أقدم هذا الكتاب

محمد أبو بكر حميد



شكر وتقدير

تتوجه جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير بالقاهرة بخالص الشكر والتقدير لأولئك الرجال الأفاضل من أبناء حضرموت الذين ساهموا في دعم الدور الثقافي والأدبي والخيري لهذه الجمعية التي يمثل هذا الكتاب أحد أنشطتها الثقافية في إحياء التراث الحضرمي وخدمته دراسة وتحقيقا وتأليفا.

إبراهيم الأزهري

رئيس جمعية أصدقاء باكثير

مقدمة

لم يجد تاريخ اليمن وتراثه في العلوم والفنون والآداب- على كثر ما كتب عنه- الاهتمام الذي يستحقه، وإن كانت حضارته القديمه وتاريخها قبل الإسلام قد استقطب اهتمام المورخين والمستشرقين، ومع ذلك فلا يزال الكثير مما كتب عن اليمن باللغات الأجنبية بحاجة إلى ترجمة للعربية، ولاتزال مراحل من تاريخها وقطع من آثارها بحاجة إلى مزيد من الدراسة والكشف والتدوين والمحافظة والعناية.

ولم تأخذ حضرموت حقها من ذلك الحظ القليل الذي حظى به تاريخ اليمن. وربما كان عدم خضوعها سياسياً لليمن خلال أحقاب التاريخ الماضية قد حدا بالمؤرخين والدارسين لتاريخ اليمن إلى استثنائها من كتاباتهم، فحُرمت حضرموت من التاريخ لها في معظم الدراسات التي تؤرخ لليمن قديماً وحديثاً.

وهكذا ظل ذكر حضرموت مستقلاً في كتب التاريخ القديم ومعظم التاريخ الحديث. أما تاريخها وأدبها ونتاج علمائها فلا يزال مجهولاً حتى للباحثين والكتّاب اليمنيين أنفسهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر عندما كتب الأديب والشاعر والسياسي اليمني المخضرم الأستاذ أحمد محمد الشامي كتابه القيم «قصة الأدب في اليمن» لم يتطرق للأدب في حضرموت. واعتذر عن ذلك بأن في حضرموت من يستطيع أن يقوم بذلك على أكمل وجه. والحقيقه أنه لم يكن بين يديه - وهو ابن اليمن

وعلى بعد أميال من حضرموت - المصادر والمراجع التي تُعينه على ذلك.
وكذلك لم يجد الاستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح، والشاعر عبدالله البردوني وغيرهم من الأدباء والباحثين اليمنيين فيما كتبوه في مؤلفاتهم عن الأدب والثقافة في اليمن، المصادر والمراجع التي تعينهم على الكتابه عن حضرموت فما بالنا بالادباء والمؤرخين في الدول العربية الأخرى الذين لايعرفون عن حضرموت إلا مادرسوه في مادة النحو بان حضرموت «مركب مزجي» ممنوع من الصرف.

ولاشك أن العزلة السياسيه التي فرضها الاستعمار على حكومات حضرموت المتعاقبة حتى إستقلال الجنوب سنة ١٩٦٧م كان لها دوراً في ذلك إلى جانب تقلص دور الاهتمام بالعلم والثقافة لدى أكثر أحفاد الحضارم وإنشغالهم بالتجارة في وطنهم ومهاجرهم، فظل الكتاب المطبوع عُملة نادرة في حضرموت وظل الناس يتداولون المخطوطات الى عهد قريب، وظل أدبها وتاريخها يُكتب الى اليوم فلا يجد من يطبعه، والذي طُبع منه يُعد نسبة قليلةً جداً قياساً بالذي لايزال مخطوطاً، بل أن الذي طبع فعلاً كان لادباء ومؤرخين أتيح لهم فرص الخروج من قمقم الوطن المغلق. فعلى سبيل المثال ماكان لتاريخ حضرموت لصالح بن علي الحامد ودواوينه الشعريه أن تطبع، لولا أن الرجل كان يتردد على سنغافورا ومصر، وما كان على أحمد باكثير لينال ذلك الذيوع والصيت في كل مكان لو لم يهاجر نهائياً إلى مصر.

ومن هنا نجد أن من طُبعت لهم كتبهم من الحضارم كانوا من الذين هاجروا الى إندونيسيا وسنغافورا والهند ومصر، أو من الذين لهم صلات بتلك المهاجر، ونستطيع ان نقول أن اغلب الأدب الحضرمي المطبوع طُبع في إندونيسيا وسنغافورا وحيدرآباد، وظل إنتشاره محصوراً بين المهاجرين هناك لم يصل منه إلى حضرموت إلا القليل، وحتى هذا الأدب والتاريخ الحضرمي الذي كُتب في المهجر مهدد الآن بالضياع على أيدي الأحفاد الذين لم يعد أكثرهم يفهم اللغة العربية، وانقطعت صلاتهم بوطنهم الأصلي.

فلا عجب إذن أن يجهل أحفاد الحضارم تاريخ وطنهم، ولا عجب ان يجهل مؤرخو الأدب العربي الدور الحضاري الذي لعبه الحضارم في الماضي حيث كانوا رواد أكبر نهضةَ فكرية وأدبيه وإسلاميه في الشرق الأقصى، ففي اندونيسيا وحدها أصدروا أكثر من ١٨ صحيفة ومجلة باللغة العربية، وكانت «جريدة حضرموت» التي أصدرها في إندونسيا سنة ١٩٢٣ السيد محمد بن هاشم ورأس تحريرها السيد عيدروس المشهور تعد من كبريات الصحف في العالم الإسلامي. بل أن مجلات ذلك العصر في مصر مثل «الفتح» و«المنار» كانت تروي عنها وتشيد بها.

وتشكل مؤلفات الحضارم في تلك المهاجر أغلب ما صدر من كتب مطبوعه في الدين والأدب والتاريخ، غير أنه لم يعد يوجد منها الآن إلا النزر اليسير في المكتبات الخاصة لورثة الأدباء والكتاب الحضارم هناك، وفي بعض مكتبات اندونيسيا وحيد آباد بالهند وبعض دول شرق أفريقيا،

وهي حقيقة أشار إليها أمير البيان شكيب ارسلان ودلل عليها في كتابه الشهير «حاضر العالم الاسلامي» الذي يضم صفحات كثيرة عن دور الحضارم في نشر الإسلام وخدمة العروبة.

أما نتاج قرائح الأدباء والشعراء والمؤرخين في داخل حضرموت فإن المخطوط منها وهو الأكثر لايزال يئن في خزائن أحفادهم وورثتهم الذين يجهل أكثرهم أهمية نشر هذا التراث وضرورة خروجه إلى النور، ويحتاج بعض هؤلاء إلى التشجيع المادى والأدبي للافراج عن تلك المخطوطات الحبيسه قبل أن تأتي عليها الأرضة، خاصة وانها قد نجت من أيدي الاخطبوط الماركسي الذي جثم على صدر البلاد أكثر من ربع قرن لم يستطيع أن يطبع خلاله إلا الكتب دوات التوجهات الحمراء، وأهمل تاريخ حضرموت وعدن وصنعاء، وأدار ظهره للإسلام والعروبه وولى وجهه شطر موسكو ودرل المعسكر الاشتراكي يدرس تاريخ الشيوعيه فيها ويتخذ من قادتها أوثاناً يعبدها من دون الله.

واليوم وقد تحرر ذلك الوطن الأسير للسكين من ربقة الشيوعيه وعادت اليه شخصيته العربية الاسلاميه وعاد الناس يلتفتون بحب وشغف لماضيهم ويتطلعون بعزيمة لصناعة مستقبل افضل، وقد رأوا رأي العين أن ماسعت الماركسيه إلى إحداثه لم يترك أثراً في حياتهم إلا ما تتركه الكتابة على الماء.

إن ما كُتب عن حضرموت في الصحف والمجلات بمختلف اللغات - ناهيك عن الكتب - يُعد بالعشرات وربما بامئات. ورصده وتصنيفه

وترجمته -إن كان بلغات أجنبية - يحتاج إلى جهود فريق من الباحثين. ويحتاج إلى همم علميه وإمكانات ماديه كبيرة. وأبناء حضرموت المنتشرون في أصقاع الدنيا لا يعوزهم المال ولا ينقصهم العلم. وإذا كان الحضارم في القديم قد أمسكوا بناصية المال وسبقهم الغير إلى العلم فإن الأبناء وأحفادهم اليوم قد أدركوا ما فات الآباء من العلم وسابقوا فيه غيرهم من الناس.

وسمعة الحضارم بالأمانة في التجارة والصدق في المعاملة والحزم في التربية والصبر على الأذى تسبقهم إلى كل مكان يرحلون إليه، وتمنحهم مكانة متميزة في نفوس الشعوب التي يحلون بين ظهرانيها.. سمعة عميقة ضربت جذورها في أعماق البلاد التي استوطنوها في جزيرة العرب وفي الشرق الأقصى والشرق الأدنى وشرق افريقيا، وقد أسس هذه السمعة رجال أجلاء اشتغلوا بالعلم والتجارة، وترك كل من العلماء والتجار الحضارم آثاراً مخطوطة بحاجةٍ إلى طبع ومؤلفات منسيه بحاجةٍ إلى من يحفظها من الضياع وتاريخاً في ذاكرة الشعوب إذا لم يُسجل ويؤرخ له فسيُنسى.

وهذا التاريخ المُشرِّف الذي سجله الحضارم لا يخصهم وحدهم لأنه صفحةٌ مشرقة من تاريخ جنوب الجزيرة العربية وصورة مُشرِّفه لعرب الجزيرة أجمعين. ويظل هذا كله من قبل ومن بعد جزء من تاريخ الاسلام ومآثره في العصر الحديث.

فإذا لم يلتفت أحفاد ذلك الجيل العصامي العظيم من أهل حضرموت إلى تسجيل تاريخهم والإهتمام بتراثهم وجمعه وطبعه فإنه سيكون تقصير عظيم منهم في حق أنفسهم وحق دينهم وحق عروبتهم، وسيقوم به غيرهم من أبناء اليمن والجزيرة العربية بإعتباره واجباً إسلامياً قبل أن يكون أي شيء آخر.

وبعد فإنه إذا ما تحرك المثقفون والعلماء ورجال الأعمال الحضارم لتسجيل تاريخهم وحفظ تراثهم، فيجب الا يفهم البعض أن هذا السلوك حركة عصبيه أو عنصرية أوشعوبيه منهم، بل يجب أن يُفهم هذا السلوك بأنه بداية وعي جديد دب في هذا الجيل من أحفاد الحضارم الذين بدأوا يدركون به مسؤوليتهم التاريخية نحو أجدادهم وآبائهم ووطنهم الأصلي.. إنها حقاً مسؤولية جسيمه.. مسؤولية إذا كانت على غيرهم من أبناء جنوب الجزيرة (اليمن) وأبناء جزيرة العرب كلها فرض كفايه فإنها عليهم فرض عين.

وما صدور هذا الكتاب الذي جمعنا بين دفتيه مادةً مختارة مما كُتب عن حضرموت تاريخاً وثقافةً وثروه في مجلات عربيه متفرقة إلا خطوة لتشجيع البحث والتنقيب في التراث البكر لهذه المنطقة، وكان منهجي في ترتيب مواد هذا الكتاب يقوم على أهمية الموضوع كما أراه لا على مكانة كاتبه. وقد قمت بشرح ما يلزم شرحه في الهوامش[1]، وترجمت

(١) لتمييز الهوامش التي أضفتها عن غيرها فإن الهوامش المضافة مزيلة برمز اسم المحرر.
(م. ب. ح)

لكتّاب هذه الموضوعات الذين لا يُعرف أغلبهم خارج الدوائر المهتمة بتاريخ حضرموت وأدبها، ولقيت مشقة في ذلك إذ لا توجد كتب تُعرِّف بهذه الاعلام الحضرمية المجهولة ولا يكاد بعض أولادهم وأحفادهم يعرفون عنهم شيئاً، فكان ما دونته عنهم للاسف هو أقصى ما بلغ علمي به عنهم، فلا عجب إذن - والحال هذه - أن لا نجد حتى تواريخ ميلاد ووفاة بعض هؤلاء الاعلام.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير العميق لهؤلاء الرجال من أبناء وأحفاد أهل حضرموت الذين لمست فيهم الأحساس بالمسؤولية التاريخية نحو ذلك الجزء المهم من جزيرة العرب وتشجيع الاهتمام بجمع وطبع ونشر تراث هذا الوطن الاسلامي العريق.. والله الموفق..

محمد أبو بكر حميد

ص. ب ٨٥٨ الرياض ١١٤٢١

المملكة العربية السعودية

مصادر التاريخ الحضرمي[١]

للأستاذ أحمد عوض باوزير[٢]

هناك حقيقة تاريخية ثابتة ينبغي مراجعتها، قبل البدء في الحديث عن «مصادر التاريخ الحضرمي»، ومن المؤرخين المحدثين الذين فطنوا إلى أهمية هذه الحقيقة، السيد **علوي بن طاهر الحداد**، مؤلف كتاب **«الشامل في تاريخ حضرموت»**. فقد ورد فـي رسالة له أسـماها **«جني الشمـاريخ في جواب أسئلة التاريخ»** (المخطوط) ما يفيد في تقرير هذه الحقيقة.

وفحـوى هذه الحقـيقـة التاريـخية هـو أن التاريـخ السـياسي الـقديم لحضرموت لا يمكن دراسته منفصلاً عن تاريخ اليمن الكبير، أو عن تاريخ الإسلام في الجـزيرة العربيـة حتى إلى ما بـعد نشوء الـدولة الكثيـرية في أواخر القرن الثاني الهجري. ويقال في تعليل قيام بعض الحكومات القبلية

---

(١) نشرت بمجلة الرسالة، العدد (٩٨٩) الصادر في ١٦/٦/١٩٥٢م، القاهرة.

(٢) **احمد عوض باوزير** كاتب وصحفي ورئيـس تحرير صحيفة **"الطليعة"** التي كانت تـصدر في المكلا حضرموت قبل الاستقلال (١٩٥٩م- ١٩٦٧م). وقد بدأ نشاطه الصحفي في عام ١٩٤٨م في عدن كمحرر في صحيفة **"الذكرى"** للشيخ **علي محمد باحميش**، ثم انتقل للعمل في صحيفة **"النهضة"** للأستاذ **عبدالرحمن عمر محمد جرجره** عام ١٩٤٩م ثم عمل مع الأستاذ **محمد علي باشراحيل** في صحيفة **"الرقيب"** عام ١٩٥٧ كمحرر للنـادي الثقافي بالمكلا والمدرسة الوسطى بـغيل باوزير. أنشأ أول مطبـعة حديثة في حـضرموت عام ١٩٦٢م (دار الطـليعة والنـشر)، له عدة مؤلفـات وأبحاث مطبوعة ومخطوطة، ومن مؤلفاته المطبوعة: **(شهداء القصر)** و **(الشعر الوطني)**.

(م . ب. ح)

واستقلالها أثناء هذه الفترة الزمنية، أن ذلك كان نتيجة لأحوال الضعف المادي والأدبي في حكومات اليمن المتعاقبة، أو في عاصمة الخلافة الإسلامية.

ومما يفيد في تقرير هذه الحقيقة كذلك انتشار الفرق الدينية في حضرموت، فإن ذلك الانتشار يعني امتداد النفوذ السياسي والإداري إلى هذه الرقعة من الجزيرة العربية. وأظهر هذه الفرق «الأباضية» ثم «القرمطية»، وكان ظهورها أيام اضطراب دول الزياديين في اليمن، في أواخر القرن الرابع الهجري و«الإسماعيلية».

ما هي مصادر التاريخ الحضرمي ؟ :

وإذا كنا قد أثبتنا هذه العلاقة بين تاريخ حضرموت، من جهة، وتاريخ اليمن أو الجزيرة العربية، من جهة ثانية، فيحسن بنا أن نتساءل: ماهي مصادر التاريخ الحضرمي إذن؟ وما هي نوع العلاقة في هذه الوحدة السياسية والاقتصادية؟

والجواب على أولهما، أن هناك كثيراً من المصادر التاريخية، بأقلام جمهرة من الحضرميين النابهين. غير أن أهمها قد ضاع، ولم يبق منها غير مقتطفات أو شذرات متفرقة، ومن هذه المصادر «تاريخ بازرعة» و«تاريخ حنبل» وكتاب «الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة» و«تاريخ الشبلي» و«شنبل» وغيرهم من المؤرخين. وحتى هذه المصادر لا يمكن أن تؤخذ على علاتها دون الرجوع إلى الأحوال العامة، في تاريخ البلدان المجاورة

التي يتصل تاريخها السياسي اتصالاًوثيقاً بسير الأحوال في البلاد الحضرمية

أما عن نوع العلاقة في هذه الوحدة السياسية والاقتصادية بين حضرموت وغيرها من الدويلات في الجزيرة العربية، فذلك يعني تفصيل الحكومات السياسية التي تعاقبت على اليمن منذ صدر الإسلام، إلى وقت انفصال حضرموت نهائيًا عن حكومات اليمن في أواخر القرن الحادي عشر، كما نذهب إليه.

ومن العسير جدًا على الباحث في تاريخ هذه الحكومات المتعاقبة، أن يهتدي إلى تحديد هذه العلاقة تحديدًا شاملاً. فإن المجال لايزال مفتوحًا للدراسات التاريخية، وهذا النقص يكاد يكون ملحوظًا للمعنيين بدراسة تاريخ الجزيرة العربية؛ ولذلك فإننا عاجزون حتى الآن عن تحديد تلك العلاقة؛ لأن ما لدينا من المباحث العلمية والمراجع التاريخية لا يكفي في تقرير هذه الحقائق تقريرًا ضافيًا ومفيدًا.

كيف ضاعت هذه المصادر ؟ :

ويذهب السيد الحداد في رسالته «جني الشماريخ» في تعليل أسباب ضياع تلك المصادر التاريخية - التي أشرنا إليها آنفًا - إلى انتشار البداوة والجهل بين سكان حضرموت؛ لأن انتقال تلك المؤلفات إلى أيدي أولئك النفر من الجهلة، معناه الإهمال والضياع.

وربما كان هناك من يريد أن يسأل: كيف أمكن نبوغ تلك الفئة من المؤرخين وسط تلك الجهالة المتفشية. ولا إخال أن الحداد كان ينتظر بداهة

هذا السؤال، فقد أثبت في موضع آخر من رسالته السابقة «أن الذين قدر لهم الإقبال على العلم منهم في تلك الأزمنة إنما تهيأت لهم أسباب خاصة، تيسر لهم معها التفرغ لذلك».

وأنا - وإن كنت أوافق **الحداد** في بعض ما ذهب إليه في تعليل أسباب ضياع المصادر التاريخية - غير أني أعتقد أن هناك سببًا أقوى، وهو أن المتأخرين من المتعصبة، قد رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم من المذاهب أو النحل. فعمدوا إلى إخفاء تلك المؤلفات وطمسها في بعض الأحيان. وقد ذهب إلى مثل هذا الرأي بعض ذوي النظر والباحثين.

محاولات في التاريخ الحضرمي :

ظهرت في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، محاولات أولية في تدوين التاريخ الحضرمي القديم، وهي محاولات بدأت ضيقة، ثم أخذت تتسع تدريجًا، فقد ظهر كتاب **«الشامل»** لمؤلفه السيد **علوي الحداد**. وكتاب **«تاريخ حضرموت السياسي»** للأستاذ **صلاح البكري**، وكتاب **«تاريخ الدولة الكثيرية»** للسيد **محمد بن هاشم**، وكنت قد اطلعت على نسخة خطية، بالمكتبة السلطانية بالمكلا، من كتاب **«التابوت»**[1] للسيد **عبدالرحمن بن عبيدالله**.

(١) يقصد به كتاب «بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت» لايزال مخطوطًا ويقع في حوالي ٢٠٠٠ صفحة، ينتظر من يكمل تحقيقه وطبعه ويعد من أهم المصادر في التاريخ والأنساب الحضرمية. (م . ب . ح)

وأستطيع أن أجزم أن هذه المؤلفات - على الرغم من حداثتها - لا تخرج عن سرد الحوادث سردا عاما دون تعمق أو تصويب. وقد اعترف **ابن هاشم** في كتابه **«تاريخ الدولة الكثيرية»** بهذه الحقيقة، فقال في مقدمة الكتاب: «وبعد، فقد ألزمنا على أنفسنا في هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه في كتب التاريخ من أخبار القوم، مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد والتحليل والتركيب».

ويحاول السيد **ابن هاشم** أن يبرر هذا المسلك التاريخي بقوله: «ولست أجد لي حقًا في مؤاخذتي أشخاصًا على سلوك سلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون، ودفنت مبرراته ومسوغاته طوال القرون».

ونحن لانقر السيد **«ابن هاشم»** وهو الكاتب الأديب على هذا النحو من التفكير. وسواء أ كانت المبررات التي زعمها صحيحة أم غير صحيحة فإننا كنا نتوقع أن يعمد إلى «المعول» لنبش الحقائق وغربلتها، وأن يبرأ من تلك الشفقة والرحمة؛ لأنها لا تجدي في منطق الوقائع التاريخية ولا تفيد كثيرًا.

وأود في ختام هذا الحديث القصير أن أشيد بأسلوب «ابن هاشم» في الكتابة، ذلك الأسلوب الأدبي الرصين الذي يطالعه القارئ من حين لآخر، في اكثر من مكان من الكتاب.

هذه فذلكة عن «مصادر التاريخ الحضرمي» أقدمها في أنسب الأوقات وأصلحها، لعلها تفيد في إنارة السبيل للمعنيين بدراسة التاريخ الحضرمي القديم، وتعين على فهم الحقائق التاريخية الكبرى.

حضرموت[1]

بقلم السيد العلامة محمد بن عقيل[2]

"أردت أن أستفيد من فرصة وجود العلامة الجليل الأستاذ السيد محمد بن عقيل كبير علماء حضرموت لهذا العهد بين ظهرانينا في العاصمة المصرية. فرجوته أن يتفضل على مجلة (الزهراء) بصورة صادقة لحضرموت. ذلك الجزء العزيز من الوطن العربي الأكبر فتفضل حفظه الله. بالمقال التالي الذي أنشره مقرونًا بالشكر لسيادته".

محب الدين الخطيب

لحضرموت ـ التي ربما جهل حالها كثير من قراء هذه المجلة ـ عرقٌ كريم في التاريخين القديم والحديث. ولها بعد ذلك شأن لا يستهان به في إخراج جماعة من أساطين الفضل وفرسان الأدب. ولبنيها عبقرية تتجلى

---

(١) نشرتها مجلة الزهراء في عدد صفر ١٣٤٥ هـ، القاهرة.

(٢) السيد **محمد بن عقيل**: عالم وفقيه. اشتهر بولوعه بمسائل الخلافة وتفضيل أصحاب النبي ﷺ أثار معركة جدلية بكتابه "**النصائح الكافية لمن يتولى معاوية**" وأثيرت عليه ضجة كبيرة فأمرت الدولة العثمانية بمصادرة الكتاب. غادر حضرموت إلى جاوا سنة ١٢٩٦هـ وهو دون العشرين، وزار معظم البلدان الشرقية حتى الصين واليابان، ثم تجول في البلدان الأوربية، واختلف على مصر والشام والعراق اكثر من مرة. ومن مؤلفاته: كتاب "**ثمرات المطالعة**" و"**الهداية إلى الحق في الخلافة والوصاية**"، وأيضاً "**العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل**". أسس أول مدرسة عربية في سنغافور باسم "**الإقبال**" أنفق عليها من ماله الخاص، وعاش حياته داعية إلى نهوض المسلمين بالتربية والتعليم، ولم يعبه إلا غلوه في التشيع. توفي في الحديدة منفياً من حضرموت سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م). (م . ب . ح)

أكثر عندما يغادرون بلادهم ويقيمون غرباء في إحدى البلدان النائية. وقد شد الرحال إلى حضرموت للسياحة وطلب العلم رجال عديدون من فضلاء العالم الإسلامي فعادوا وحقائبهم ملأى بالفوائد العلمية، والنكات الأدبية. وفيها يقول أحدهم :

مررتُ بوادي حضرموت مُسلّماً ... فألفيته بالفضل مبتسماً رحبا

وألفيتُ فيه من جهابذة العلا ... أفاضلَ لا يلفون شرقاً ولا غربا

وحضرموت هي مخلاف من مخاليف اليمن، وتسمّى (الأحقاف) أيضاً.

حدودها :

يحدها من الجهة الشرقية شِعْب وادي النبي هود عليه السلام، ومن الجهة الغربية عين با مَعْبَد، ويحدها جنوبًا البحر العربي، وشمالاً رمال نجد والربع الخالي، وجُلّ هذه المساحة جبال صخرية جرداء قاحلة خالية من النبات والعيون ما عدا القليل.

مزارعها وعيونها :

يتخلل القطر الحضرمي رمالٌ متنقلة غير واسعة، كما أنه يوجد في فجاج الأودية مزارع حسنة إلا أنها أيضًا ليست بذات اتساع يذكر. وكلها الآن عامرة ما عدا جزء صغير منها، ولكن آثار العمران السابق ظاهرة. وكذا مجاري المياه والآبار المعطلة، والسدود المهدومة، والعدد الجم من خرائب القرى المبعثرة هنا وهناك ـ ما بين معلوم الاسم ومجهوله،

وجاهليّ العمارة وإسلاميها ـ كل ذلك يشهد على ما كان لذلك القطر قديمًا من الحضارة والعمران. وإنما نضب كثير من العيون والآبار لجرف السيول مجاريها سنةً بعد سنة إلى أعماق بعيدة الغور بها إلى البحر ما تمد به تلك العيون والآبار من الماء. وبذلك زاد الجفاف، وقلّ العشب، وضعف نتاج ما بقي معموراً من الأرض. على أنه لا يزال اليوم بحضرموت عيون في جوار الساحل وفي بعض الأودية يزرع عليها النخيل والحبوب وغيرها.

صادراتها :

التبغ الحمومي هو أهم الصادرات من تلك الناحية، وتوجد أيضا فيها أنواع التمر كثيرة والبُر والذرة والدخن وحبوب أخرى، وما لا يذكر من الفاكهة والبقول. ويسير من القطن الهندي. ويخرج من غربها وما فوقه عسل كثير لايضاهيه غيره حسنًا وحلاوة. وفي جبالها اللبان الشحري والصبر والمر.

حيواناتها :

بها من الحيوانات ما يوجد غالباً باليمن. وقد ـ انقرض أو كاد ينقرض ـ منها كثير من الأوابد البرية والوحوش والطيور التي كانت توجد بها كما تحكيه التواريخ القديمة والحديثة. وهناك يوجد حتى الآن حيوان غريب من ذوات الظلف لا هو بالوعل ولا بالغزال، له قرنان صلبان مستديران أقرب إلى الاستقامة منهما إلى الانحناء، وهو سريع الجري جداً حتى إنه لايكاد يصاد إلا نادراً، يسكن الجبال وربما انحدر إلى السهول لارتياد الماء والكلأ، يدعوه أهالي حضرموت بالوُضَيْحيّ، وهو جسور وخطر.

باديتهـــا :

تسكن جبال حضرموت قبائلُ من صميم العرب: من قُضاعة ونَوَح ونَهْد وكِنْدة وحِميَر ومَذْحِج وغيرها، وكلها لايزال بينها ذحول ودماء وثارات، الأمر الذي سبب عدم استقرار حكومة مدة طويلة بتلك البلاد على نظام ثابت، لما تعانيه من شغْب باديتها وجَدْب أرضها، فإذا اقيمت بها حامية كبرى عجز خراج البلاد عن مؤنتها، وإن أقيمت بها حامية قليلة العدد والعُدد لم يحفل بها الأهالي وعادوا إلى سيرتهم الأولى، وهكذا دواليك.

بلاد مَهْرة :

ويضاف إلى حضرموت عرفاً بلاد مَهْرة، وهي موطن الإبل المهرية الشهيرة التي يقول فيها أبو الطيب المتنبي الجعفي الكندي:

ويَلْمهاَ خُطةُ ويلْمِّ قابلها   لمثلها خُلق المهريةُ القُودُ

ومهرة بلاد واسعة تتصل بظَفار الحبوظي وبعُمان ورمالها. وسكانها نحو المائة والثلاثين ألفًا ينتشرون في البر العربي وفي الجزر الشرقية. ولهم لغة مستقلة ليست بعربية ولكن بها حروف الحلق كما بالعربية، ولكنها حتى الآن لا كتابة لها. ومهرة من العرب بلا ريب، وأنسابهم ثابتةٌ كما في الجمهرة وغيرها، ويضارعهم في هذا قبيلة القَرى في صقع ظفار الحبوظي أيضًا.

سكان حضرموت :

تحوي حضرموت ضمن حدودها المذكورة آنفاً نحو ثلاثمائة ألف نسمة حضراً وبدواً، ولايدخل فيهم مهرة، وهم كبادية حضرموت. وينقسم هؤلاء السكان من الوجهة الاجتماعية إلى ثلاث طوائف كبرى:

أولها: السادة العلويون النازلون بها سنة ٣١٧هـ ومن يلحق بهم من بعض قبائل الحضارمة. ومن هذه الطائفة رجالات العلم والفضل والنفوذ، وهم المصلحون بين الناس، والساعون في بناء المدارس والرباطات والمساجد، والقائمون بالتعليم والإرشاد وعقود الأنكحة وقَسم المواريث. ويشارك السادة العلويين في هذا من أشرنا اليهم من بيوتات الحضارمة.

ثانيها: الزرّاع وأرباب الصناعات والعمال وأهل الأسواق ومن ضاهاهم، وهذه الطائفة والتي قبلها تفصلان المنازعات التي تحدث بينها بالمصالحة غالبًا، أو بحكم الشرع على مذهب الإمام الشافعي الذي هو مذهب الحضارمة قاطبة.

ثالثها: حَمَلة السلاح من العشائر بدواً وحضراً. وهؤلاء هم العامل الأكبر في كل ما أصاب تلك الأقطار من الخراب والشقاء. وهم وإن يكُ فيهم رجال ذوو عقل وصلاح ويحبون الخير، إلا أنهم مغلوبون على أمرهم. وجل هذه الطائفة يحارب بعضهم بعضًا، وربما حاربت القبيلةُ الواحدة قبيلتين فأكثر.

وقد تنشق القبيلة الكبيرة إلى قبائل عديدة ضئيلة العدد لكل فخذ منها قسم من البلاد ولها رئيس، ويكون غالبًا بينها وبين أخواتها دماء وذحول.

ثم يجمع تلك القبائل رئيس كبير يتولى أمرها فيما بينها وبين القبائل التي تضاهيها، وليس له سلطة على غير فخذه فيما سوى هذا، بل ربما قاتلهم وقاتلوه. على أن مقاتلتهم هذه لاتمنعهم من صد هجمات الغريب، بل تراهم يتركون قتلاهم وجرحاهم فيما بينهم في المعركة ويهبون جميعا يداً واحدة لمقاتلة عدوّهم المشترك، ثم بعد انتهائهم من أمره يعودون إلى ما كانوا فيه من قبل.

وتفضّ المشاكل والمخاصمات الحادثة بين هذه الطائفة - فيما عدا المواريث والأنكحة - بحسب عادات لهم عرفية، وبواسطة حكام منهم. ولهم قوانين في الحكم وفي استئناف الدعاوى يطول شرحها، وكلها محفوظة غير مكتوبة.

لغة حضرموت :

لغة حضرموت هي العربية، إلا أنّ الدارجة منها قد فسدت كما فسدت لغات غيرها من أقطار جزيرة العرب، ومع ذلك فألفاظ الحضرمي فصيحة ناصعة غالباً لم تتطرّق إليها الغتمة التي سادت على النجدي، ولا الغمغمة التي كثرت في منطق اليمني، ولكل حاضرة بها نغمة، ولكل قبيلة لغيَّة ولهجة. وللحضارم في دارجتهم ألفاظ كثيرة ليس لها وجود في معاجم اللغة، وكلها على موازين الكلمات العربية ينالها ما ينالها من الجمع والتثنية والتصريف، وجلها رباعي وخماسي، ومنها ما يشبه بعض ألفاظ الهيروغليفية القديمة. وعلى العموم فلغة حضرموت الدارجة تقرب إلى الفصحى كثيراً بغض النظر عن الإعراب.

المعـــارف :

ليس للمعارف الآن سطوع بتلك الربوع. فقد أصابها من الانحطاط ثم الموت بموت أهلها ما أصاب غيرها. وقد دبت الحياة منذ سنوات في قلوب بعض سادات تلك البلاد، فهبوا للتعاون على نشر العلم بفتح المدارس. وها قد أينعت مساعيهم بعض الإيناع، إلا أن الضرورة لاتزال تدعو إلى أضعاف أضعاف الموجود، لاسيما وأن لديهم من الثراء ما يقوم بعض زكاته بأكثر من المطلوب. ومعاهد العلم بحضرموت مقتصرة على تدريس الفقه والنحو وشيء من التفسير والحديث - والبلاد وإن تك لا تخلو من العلماء المتفننين، وشبان الأدب والشعر- إلا أن نطاق التعليم لايزال بها دون الواجب بمراحل.

الأمـن بهـــا :

علمت أن الحكومة في حضرموت غير مستقلة، وأن البلاد لم تزل في حروب داخلية وفرقة، لاسيما بعد انجلاء جنود المتوكل على الله صاحب اليمن منذ نحو قرنين. لذلك انعدم الأمن في حاضرتها وأطراف من البادية، وساد النهب والسرقة والغصب، واستبيحت الدماء، ولم تزل الحالة على هذا إلى الآن. نعم ان السرقة وقطع السبل في الوقت الحاضر أصبحا في قلة محسوسة؛ لنزوح كثير من الطرار والسراق عن البلاد إلى الجهات السحيقة من وراء البحار. أما البوادي المسلوكة للقوافل فالأمن فيها - إلا ما ندر - موجودٌ، ولولاه لهلكت تلك البوادي، إذ جلُّ طعامها إنما هو من كرى جمالها. ولذلك كان الذاهب والآيب لايخاف سارقًا ولا

مغيراً، ولو رمى المرء شيئًا من أمتعته على قارعة الطريق وتركه لأسابيع فإنه يجده كما تركه، وكذا لو أن نجّابًا يحمل كتبًا ونقودًا صادفه عدو له فقتله - بسبب تلك العداوة - فإنه يؤدي أمانة القتيل إلى أهلها.

الحكومة بحضرموت وتاريخها:

أقدمُ حكومة في تاريخ حضرموت الحديث هي: **الحكومة الكثيرية** وتدعى الآن **آل عبدالله**، وقد مضى على تأسيسها رَدْح طويل ونفوذها ينبسط مرة ويتقلّص أخرى؛ حتى هبَّ الإمام المتوكل اليمني فنصرها ودمر أعداءها ورد لها ملك حضرموت كله، ولم يشترط إلا إعلان الطاعة له وإقامة الشرع المحمدي والمحافظة عليه.

ولبعض أمرائها - وهو **السلطان بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر الكثيري** المولود سنة ٩٠٢ من الهجرة - شهرة حسنة، وقد طالت أيام حكمه لأنه تولى وهو صغير السن، وكان ممدوحًا من الشعراء. وهو الذي منع التُّرك من الاستيلاء على حضرموت، ثم اعترف لهم بالطاعة، وأرسل الى القسطنطينية هدايا، منها بعض أسرى من الإفرنج في واقعة الشحر مع البرتغال. وأرسل جيوشه لفك حصار الترك في زبيد، وألزم أهل اليمن بطاعة الترك في أيام السلطان سليمان، وكانت وفاته عام ٩٧٧هـ.

وقد كان الملك قبله **لآل عبدالله بن راشد بن قحطان** المولود بتريم سنة ٥٥٣هـ والمقتول ظلماً بعد تنازله طوعاً عن الملك وزهداً، وبعد تجرده للعبادة سنة ٦١٢هـ.

وآل كثير ينتهي نسبهم إلى **قُضاعة**، وكذا بنو ظنة، وهم ثلاث قبائل: **آل تميم بن ظنة**، و**آل منهال بن ظنة**، و**آل شرحبيل بن ظنة**. ويعرف هؤلاء **الآن ببني تميم والمناهيل والشحابلة**.

ثم تولى بعد بدر المذكور آنفاً ابنه **عبدالله**، وكان قد وثب على أبيه وحجر عليه، حتى مات وهو محجور عليه، واستبد بالملك. وبعد موته قام بالملك ابنه **جعفر** وقتل سنة ٩٩٠هـ. فقام بعده عمه **عمر بن بدر** وكان ممدوحًا من الشعراء. ولا نرى فائدة في الإطالة هنا بذكر الحوادث وسلسلة من تملك من آل كثير، ومن رغب في شيء من ذلك فعليه بتواريخ حضرموت: **كتاريخ شنبل**[1]، **وكالنور السافر**، **وكتاب الجواهر والدرر للشلي، والعقد الضوي، والجوهر الثمين**، **وتاريخ بازرعة الدوعني**، **وتاريخ ابن الطيب**، **وتاريخ باسنجلة**، **وتاريخ بافقيه الشحري** وغيرها[2].

ولبعض أمراء آل كثير آثار جميلة في نصر الشرع الشريف، وتعظيم آل البيت النبوي، كما أن لكثير منهم هنات وهنات.

---

(١) طبع هذا الكتاب مؤخراً سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. في صنعاء على نفقة المحسن الكبير الشيخ محفوظ سالم شماخ. (م . ب . ح)

(٢) هذه التواريخ لا تزال كلها مخطوطة، وهي موزعة في خزائن كتب أفاضل الحضارمة وسراتهم في بلادهم ومهاجرهم. وحبذا لو تعاون بعض أغنياء حضرموت بأموالهم وبعض أفاضلهم بفضلهم على جمع هذه التواريخ ومعارضة بعضها ببعض وتأليف كتاب جديد منها مجرد من الأخبار الراهنة والأغراض الشخصية، وأضيفت إليه المعارف الجغرافية والاجتماعية التي لابد منها، مع إسناد كل خبر في الكتاب الجديد إلى مصدره من هذه التواريخ القديمة، إذن لكان من ذلك نفع يثاب عليه المساعدون على تحقيقه. (الزهراء).

يافـــع :

وكان بعض أمـراء آل كثير قد جلب لـتعزيز قوته رجالا مـن يافع من **حمْيَر** القاطنين بجهة اليمـن السفلى، وأدمجـهم في عسكره حتى أطلق عليهم اسم **«العسكر»** إلى الآن، فأعـجبتهم حـضرموت واستوطنوها، وجنحوا الـى بعض السادة العـلويين وتمسكوا بـهم فطابت لهـم الإقامة، وكثروا بتناسلهـم وبمن هاجر إليهم من قومهم، حتى اقتـطعوا لهم أوطانًا وحدودًا ودخلوا في عادات قبائل حضرمـوت، واستمروا يشيدون مركزهم ويقوون نفوذهم حتـى حكموا قرى متعددة، ثم استولوا عـلى الشحر سنة ١١١٩هـ وطردوا منـها آل كثير ومكثوا بـها نحو ٤٦ سنة. ثم استطالوا جداً في الظلم، ولم يراعوا الشرع المحمدي، ولا عواطف السادة العلويين ومن ينضم إليهم من خيرة الحضرميـين وعلمائهم، فاضطر هؤلاء لمعاداتهم ونصروا **آل كثير**، بل استـنصروا بهـم وحاربوا يافـع فأجلوهـم عن سرة حضرموت وسنامها.

آل بريك :

وفي سنة ١١٦٥هـ ابتدأ دخول آل بريك الـدوعنيين إلى الشحر، وهم ممن ينتهي نسبهم إلى يافع أيضًا، فاسـتولوا على بعضها، وبعد بضع سنين ملكوها كلها وفي سنة ١٢٤٣هـ تولى **علي بن ناجي بن بريك** على الشحر، وهو آخر من ملكها من تلـك الأسرة، وأخرجه منها عنوة **السلطان غالب ابن محســن بن أحمد الكـثيري** سنة ١٢٨٣هــ فكانت مدة ملـك علي ٤٠ سنة، ومدة دولة آل بـريك كلها نحو ٨٨ سنة. ومات عـلي هذا في لحج

يوم ٢٠ ربيـع الأول سنة ١٢٩٢هـ، وفـي مدته - وذلك سـنة ١٢٦٦هـ - وصل السيد **إسحق بن عـقيل بن عمر بـن يحيى** من جدة قاصدًا الاستيلاء على الشحر في مركب شراعي ومعه نحو ٤٠٠ تركياً، وكان البحر هائجًا فلم يقـدر على الدنو من الـشاطئ، فذهب بمركبـه إلى ميناء قريـب منها يسمى شرمة، فلقيه فيها **آل بريك** فكسروه وانهزم إلى قُصَيْعر، وهي قرية على سـاحل حضرمـوت أيضًا، فأقـام بها إلى هـدوء البحر ثـم نزل الى دُفَيْقَة، وهو ماء يبـعد عن الشحر شمالا بنحو ميـلين، ووصل بعض أهل حضرموت لإنجاده فصمـد إليهم الكسادي اليافعي نقيـب المكلا في الطريق فشتتهم وعـادوا من حيث أتوا، ففُتَّ عضد السيـد إسحق ورجع إلى جدة من غير طائل.

السلطان غالب بن محسن :

هو محيي ملك **آل كثير** بعد اندثاره بتغلب يافع على جميع وادي ابن راشد (ما بين شبام وقسم). وكان قبل أن يتأمر بحضرموت ممن هاجر إلى الهند وتوظف في العسكرية عند ملك الدكهن، فصار نَوّاباً، واكتسب ثروة ساعدته على إخراج يافع من قلب حضرموت، علاوة على ما كان يمده به من المال والجـاه بعض من قام معـه من السادة العـلويين. ثم فتح الـشحر عنوة فـي ٦ جمادى الآخرة سنـة ١٢٨٣هـ فهرب عـنها **آل بريك** ممتطين مراكبهم الشراعية الماخرة عرض البحر وبذلك تقوضت دولتهم حتى الآن. وكان السلطان غالـب شجاعاً صالحاً حسن الأخلاق محبوبـاً رقيقًا، رحمه الله.

العائلة القُعَيطية :

كان مؤسسها ـ وهو **الحاج عمر بن عوض القعيطي** ـ أحد أمراء الجالية الحضرمية بالهند في حيدر أباد الدكهن، قام منذ نحو ٨٠ سنة، فنصر قومه يافع وبذل أموالاً طائلة في نصرهم، ورد من رحل من حضرموت منهم إلى ما بقي لهم منها كبلاد القطن وحصون يافع بجوارها، وأرضى من قدر على إرضائه من السادات، وأظهر لهم احترامًا وإجلالاً ثابر عليه هو وورثته إلى الآن فاستجلب لذلك من نفر عنه. ولم يزل يكدّ ويكدح ويسعى ويبذل حتى ظفر بمدينة شبام غدراً سنة ١٢٧٤هـ على يد مولاه الحاج الماس الحبشي. ثم بعد موت الحاج عمر خلفه أولاده **عوض وصالح وعبدالله** وهؤلاء مولودون بحيدر أباد دكهن وجل أولادهم، ولم يزل لهم بها مركز مهم وجاه واسع وثروة طائلة وذكر حسن، فسلكوا سبيل أبيهم، وساعدهم على نيل مآربهم أمور صدرت من **آل عبدالله** اضطرت بعض ذوي النفوذ الروحي إلى نصر أعدائهم عليهم، فتم لهم بذلك وبسعي **الأمير عوض** ـ الذي سمي أخيرًا **السلطان عوض** ـ الاستيلاء على جميع شواطئ حضرموت من مهرة شرقًا إلى قرب وادي حجر المشهور بنهره وكثرة نخيله في الجاهلية والإسلام إلى الآن.

ولد **السلطان عوض** سنة ١٢١٦هـ، وفي سنة ١٢٨٤هـ جهز على الشحر جيشًا جراراً مؤلفًا من عرب وهنود قدم بهم بحراً من الهند، فما عتم أن فتحها عنوة وقوض منها سلطان آل كثير، ثم استولى أخيرًا على غيرها. فكانت الحكومة اليافعية هي الثانية ترتيبًا والأولى قوة والأوسع

نطاقًا. وقد كاتبت الإنكليز على بلد **الأمير عبدالله بن عمر أخي السلطان عوض** ووكيله. ثم وسع السلطان ملكه واستولى على حجر سنة ١٣١٠هـ وتملك بعدها دوعن واستفحل أمره وهابته قبائل حضرموت. توفي رحمه الله عام ١٣٢٧هـ. وقد كان رجل حزم وعزم وجدّ وجلد وشجاعة ودماثة أخلاق، محافظًا على الصلوات والصيام، بعيداً عن قاذورات أمراء الهند.

ثم خلفه بعد موته ابنه **السلطان غالب** ـ رحمه الله ـ فسار على منهاجه، وكان وزيره المدبر له الأمور هو وزير والده والنافذ الكلمة عنده السيد **الحسين بن حامد بن أحمد المحضار العلوي**، وهو أيضًا وزير السلطان عمر بن عوض بن عمر.

الحكومة الآن [1]:

أما الآن فقد استقرت الحال على ما يأتي: يحكم السواحل كلها مع ما انضم إليها غربي عين بامعبد **السلطان عمر بن عوض بن عمر بن عوض القعيطي اليافعي** المتملك حسب وصاية أبيه عوض بعد أخيه المرحوم غالب، كما أنه أيضًا يحكم جميع دوعن والقطن وشبام وحجر ابن دغار ويلحق به عدد من القبائل.

وتنحصر سلطنة **آل عبدالله** بحسب معاهدة عدن في تريم وسيون، وهما خير مدن القطر الحضرمي، وإن لم تكونا أكثر سكانًا، ذلك أن بهما عددًا من أهل العلم والثروة.، ويلحق بهما ثلاث قرى أخرى هي: غرف

(١) المقصود ثاني تاريخ نشر المقال سنة ١٣٤٥ هـ.

آل زيدان، وتريس، وغـيل الشناظيـر. وينتمي إلى السلطنة من العشائر الشنافرة وهم: **آل كثير والعوامر وآل باجري وآل جابر**، وهؤلاء كلهم ليسوا تحت حكم السلطان، بل لكل طائفة منهم رئيس وحدود، ولهـم جميعًا رئيس عام، على أن بعضهم يحارب ذلـك الرئيس أيضًا وبعضهم يحارب السلطان كما تقدمت الإشارة إليه.

وهناك قسم ثالث من حضرمـوت وهو الأوسع مساحة والأقل قيمة لا حكم فـيه حقيقـي لأحد. ولكل بقـعة منه رئـيس اسمي. والكـلام على عادات الحضارمة وقوانينهم وتاريخ تلـك الجهات وما هو ظاهر للعيان من آثار عاد الأولـى وغيرهم كـحِمْيَر والملـوك الإسلاميين، وشـرح كل ذلك شرحًا دقيقًا يحتاج الى تأليف كبير.

الآثار والكنوز:

بناء على عاديّة حضرموت وتعاقب المـدنيات عليها فالمظنون أن ما هو مدفون تحت الـرمال وتحت أنقاض الخرائـب وفي أجواف المغائر والمـقابر، أكبر قيمة مما كـتب في التواريخ عنها وأكثر فائـدة وأدق نبأ. ومنذ سنوات قليلة كشف السيل عن آثار مهمة ذهـبية وفضية وحجرية وجواهر كريمة في مقابر حِمْيَرية بوادي مَرْخَة بيع جلـها بثمن بخس في عدن والهند، وسبك العربـان كثيرًا مما وجـدوه من الحلي والنـقود والأصنام الـذهبية والفـضية سبائـك؛ لظنهـم أن ربحهم إنما يـكون في ذلك، وكثـيرًا ما يوجـد هناك أحجار وآثار عليها كتابات جمة لايوجد من يحل معماها.

الحضارمة والهجرة:

لم تزل الهجرة مـن دأب الحضرميين منذ عرفهم الـتاريخ، وقد ملأوا سواحل الصومال وغيرها من شمال أفريقية في سابق العصور قبل الإسلام وبعده، وطالمـا انتشرت جالياتـهم في العراق ومصر والـسودان والأندلس وغيرها بعد الفتح الإسلامي، فكان لـهم ذكر وأثر لاينسى، ولنشاطهم في الأسفار وشغـفهم بالتجـارة واعتمادهم على الـكسب من البلاد الـبعيدة، توغلـوا في أفريقيـة، فأسلم بدعـوتهم من أسلـم من الحبشة والـصومال وشرقي أفريقية إلى رأس الرجاء الصالح، ومن في الجزائر التي بجوار تلك السواحل مـثل مدغشقر وجزائر الـقمر، وكذلك أيضًا جل مـن أسلم من سكان الشـطوط الجنوبية من الـهند ومثلها الـشرقية منها، وبـعض من في داخلية تـلك الأقطار، ومن في برما وسـيام وسومطرا وجاوا وفلـبيين وما جاورها. ويبلـغ عدد مسلمي هذه الأصقاع الـنائية الفسيحة أكـثر من مائة ملـيون نسمـة، كلهـم إلا الغرباء فـيهم - وقـليل مـا هم - على مـذهب الحضارمة وطـريقتهم. وقد صـار للحضارمة هـناك عز كبير ونـفوذ واسع النطاق وثروة طـائلة وإمارات متعددة، ولم يزل إلى الآن بـيدهم من ذلك شيء له قدر إن حفظوه ونموه، وتفصيل ذلك يحتاج إلى مصنف ذي أجزاء عديدة.

عبقرية الحضرمي:

الحضرمي - كغيره من العرب - ذكي الفـؤاد نشيط البدن شجاع القلب حاضر الـذهن قوي الذاكرة، ثـم إنه جسور علـى خوض الغمرات بـعيد

الهمة كبير الطمع محب للعمل جموع للمال، مقتصد في النفقة إلى حد التقتير، ثابت فيما يشتغل فيه إلى حد الجمود، دمث الأخلاق، موفٍ بالعهد، ألوفٌ عطوف، خفيف المئونة قلما ينزل بقوم فيستثقلون ظله أو يملون نواءه»، بل يُنزلونه في القلوب، ويقاسمونه الأوطان عن رغبة ومحبة وغبطة. ولم يزل إلى الآن البون بعيداً بين البلاد التي كثر فيها الحضارمة والبلاد التي لم يكثروا فيها في الأصقاع الهندية الشرقية.

ولقد أقلقت مسألة الحضارمة بال الحكومة المستعمرة بتلك البلاد برهة طويلة حتى التجأت إلى دوس عدالتها بالضغط عليهم وتنفير الأهالي منهم ومنعهم بتاتا من دخول بعض المقاطعات الجاوية إلى عهد غير بعيد، إذ تصدى المستشرق الشهير سنوك هور غرونجه لهذه المسألة فحلها حلاً نهائيًا. وبذلك زال سوء التفاهم السائد بين الدولة والحضارمة وحل مكانه الوئام والثقة المتبادلة. قال العلامة الأمير شكيب أرسلان في هامش كتاب حاضر العالم الإسلامي (١ :٦٧):

«ثم إن هناك (بجاوا) مسألة مهمة يقال لها مسألة الحضارمة. هذه تكرث الحكومة الهولندية اهتماماً أكثر من كل مسألة سواها في الجاوا، لأنه معلوم كون أهل حضرموت من أقوم أهل الأرض على الأسفار، وأن فقر بلادهم مع مضاء عزيمتهم يحملانهم على جوب الآفاق، وأكثر ما ينتشرون في جزائر الجاوا والبحر المحيط، فكانت الحكومة الهولندية تحسب لهم حسابًا كبيراً، وأشد ما يضيق صدرها بهجرتهم إلى تلك البلاد خشية أن ينشروا الدعوة الإسلامية أو ينبهوا الأهالي السذج إلى الأمور التي لولا

الحضارمة ربما لايتنبهون إليها، فما زالت تضع الحواجز أمام نزولهم في تلك الديار وتراقب حركاتهم وسكناتهم، وهي تحتج لذلك بكونهم في الأكثر افاقين لا يأتون إلى جاوا بشيء من رؤوس الأموال، وأنهم يمنعون غير المسلمين من دخول بلادهم حضرموت فلا يحق لهم إذاً أن يطالبوا بدخول بلاد هولندا. وبناء على ذلك فقد ضويق الحضارمة.. ولكن لم تخل الحال من كون كثيرين من الحضارمة تمكنوا من الدخول وأوطنوا تلك الديار وصاروا من أهلها، فترتب على ذلك أن الحكومة الهولندية التي هي من الأصل غير مرتاحة إلى وجودهم بين مسلمي الجاوا لكيلا تسطو حصافتهم على سذاجة هؤلاء ويوقظوهم من غفلتهم التي هي درة الحلب الاستعماري، قد جعلت تُضيِّق عليهم في غدواتهم وروحاتهم وتنغص عليهم عيشهم وتفعل ماشاءت لتحملهم على ترك تلك الديار.

فالأستاذ هورغرونجة يتكلم عن هذه المسألة بما يلي تعريبه:

« إن عدم قبولنا للحضارمة من الأصل لم يكن مخالفًا للعدل وكانت له أسباب يمكن أن يبنى عليها، فلم تنتبه لها الحكومة، وسمحت لهؤلاء بالدخول على شروط يسهل عليهم القيام بها. لكنها بعد أن سمحت لهم بالإقامة جعلت تراقب حركاتهم بصورة لا تطاق، وربما كان لسياسة المأمورين الذين تختلف أنظار بعضهم عن بعض في الشدة وعدمها مدخل في تشديد هذا الخناق على الحضارمة، بحيث أصبح العربي لايملك هناك شيئاً من الأمان على حاله واستقباله..».

***

وبعد، فهذه عجالة في أحوال الحضارمة في بلادهم وخارجها، التزمنا فيها الإيجاز؛ لأن مقام البسط في المصنفات الكبيرة لا في فصول المجلات، وفيما أوردناه ما يمثل لحضرموت صورة مصغرة في أذهان القراء.

★★★★★

حضرموت بلاد الأحقاف[1]

بقلم الأستاذ: صلاح البكري[2]

على بعد خمس عشرة درجة عرضًا شمالي خط الاستواء وخمسين درجة طولاً شرقي غرينتش Greenwieh، وما بين مهرة شرقًا وعدن غربًا ورمال الدهناء شمالاً والبحر العربي جنوبًا، تقوم سلسلة جبال صخرية جرداء، وبين هذه الجبال تقوم أودية فسيحة منبسطة متصل بعضها ببعض من جهات ومقطوعة من أخرى، وقديمًا كانت هذه الأودية وهذه الجبال تسمى الأحقاف، وإنما سميت حضرموت لسبب ذكره بعض المؤرخين، ذلك أن **عامر بن قحطان** أول من نزل الأحقاف، فكان إذا حضر حربًا أكثر

---

(١) محاضرة ألقاها في دار "جماعة التعارف الإسلامي" بالقاهرة، نُشرتها مجلة الفتح في الأعداد ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩ لسنة ١٣٥٣هـ القاهرة.

(٢) صلاح البكري (١٩١٢ هـ ـ ١٩٩٣م) ولد في إندونيسيا، وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الإرشاد العربية بجاكارتا، ثم سافر إلى مصر عام ١٩٣٠م، ودرس مرحلتي الكفاءة والثانوية، ثم التحق بجامعة القاهرة، وتخرج في كلية الأداب قسم التاريخ عام ١٩٣٨من ثم التحق بمعهد التربية العالي وحصل على دبلوم التربية وعلم النفس عام ١٩٤٠م. وعين مدرساً بمدرسة القباري بالإسكندرية، ثم نقل إلى مدرسة محمد علي القاهرة.
وفي عام ١٩٥٠م ترك التدريس وسافر إلى هولندا واشتغل مذيعاً بالقسم العربي بإذاعة هولندا. وفي عام ١٩٥٢ انتدب للتدريس بمدرسة الفلاح الثانوية مكة المكرمة. وفي عام ١٩٥٧م اشتغل مديراً لقسم الاحاديث بالإذاعة العربية السعودية بجدة، ثم مديراً لإذاعة نداء الإسلام، ثم مراقبا دينياً لهذه الإذاعة. صدرت له العديد من الكتب أهمها: **تاريخ حضرموت السياسي**، جزآن، **في جنوب الجزيرة العربية**، **اتحاد الجنوب العربي**، **الجنوب العربي اليوم**، **القرآن وبناء الإنسان**، **حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي**، **في شرق اليمن**، **الاتجاهات الجديدة في سياسة التعليم**، **جغرافيا البلاد العربية**، **في الشمال الغربي للحجاز**.
(م . ب . ح)

من القتل فصاروا يقولون عند حضوره حضر موت، ثم صار ذلك عليه لقبًا وصاروا يقولون للأرض التي بها قبيلته هذه أرض حضرموت ثم أطلق على البلاد نفسها. وفي التوراة اسم حضرموت حاضر ميت.

ويسكن حضرموت اليوم نحو مليون نسمة ويقال لهم الحضرميون أو الحضارمة أو الحضارم، وهم شعب عربي حاد الذكاء قوي الذاكرة بعيد النظر حر الضمير طاهر الذيل شجاع كريم لم يقهره حاكم جائر ولا فاتح طاغية، لم يخضع لإيوان كسرى ولا لبلاط قيصر، لم يبلغه فسق الروم ولا ترف الفرس فهو نشأ بمعزل. نشأ مستقلاً في كل شيء: في حياته، في أعماله، في حركاته وسكناته.

وتنقسم حضرموت إلى دورين عظيمين: جاهلي وإسلامي.

الدور الجاهلي

يختص هذا الدور بقوم عاد وأقيال التبابعة وملوك حِمْيَر وكندة.

عـــاد :

هم بنو **عاد بن عوص بن إرمَ بن سام**، وكان أبوهم أول من ملك من العرب، وطال عمره وكثر ولده. ولما مات ملك بعده أبناؤه الثلاثة **شدّاد** وهو الذي وطئ الممالك واستولى على الشام والعراق، وبعده **شديد**، وبعده إرم وهو الذي بنى **إرم** ذات العماد كما ذكره **ابن سعيد** عن **البيهقي**. وقيل شداد باني إرم. قال كثير من مؤرخي العرب إنه لما سمع إرم أو شداد بن عاد بالجنة وما أعد الله فيها لأوليائه من النعيم بنى مدينة إرم في

حضرموت وقيل في صحاري عدن وحلاّها بالذهب والياقوت والزبرجد، قيل إن بناءها استمر دهرًا طويلاً، ثم بعث الله إليه **هوداً عليه السلام** فلم يؤمن به فهبطت عليه صيحة من السماء فمات هو وقومه وساخت المدينة في الأرض. وقال آخرون إن إرم هي قبيلة عاد نفسها، ولعل هذا هو الصحيح، فإن عادًا كانت على جانب عظيم من العظمة والجبروت، ولما جاءها **هود عليه السلام** أعرضوا عنه لكبريائهم، فأرسلت عليهم الصيحة من السماء فأبادت قوتهم وعظمتهم. قال **ابن خلدون الحضرمي**: «والصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها إرم، وإنما هذا من خرافات القصاص وإنما ينقله ضعفاء المفسرين. وإرم المذكورة في قوله تعالى﴿**إرم ذات العماد**﴾ القبيلة لا البلد.

الأقيال :

كانت حضرموت منذ العصور الواغلة في القدم تنقسم إلى إمارات صغرى أو أقيال جمع (قَيْل)، والقيل هو الأمير يسكن حصنًا أو قلعة ومن حوله بيوت الأنصار والحاشية والخدم. وكان هؤلاء الأقيال أشبه بالأشراف في عهد الإقطاع في القرون الوسطى بأوربا. وكانوا يتغازون بهجوم القوي على من دونه فيتغلب عليه ويستولي على أملاكه، فإذا امتدت سلطنته وطار صيته كوّن مملكة وسمى نفسه «ملكًا»، وعلى هذه الكيفية تكوّنت الممالك ونشأت الدول في جزيرة العرب.

حِمْيَر Homeritae :

كان الحِمْيَريون يقيمون في ريدان (ظفار). وفي أيام **شمريرعش**

استولى على مملكة السبئيين ثم على حضرموت. وذكر اليونانيون أن عدد الملوك الذين حكموا حضرموت (١٣ ملكًا) أولهم **شمريرعش** وآخر **ذونواس**، واعتمدوا في ذلك على ما وجد منقوشًا على بعض الآثار، ولكن تعدادهم هذا لم يكن مقطوعاً به فلا ينهض حجة في الموضوع إذ ربما كان هناك أسماء ملوك آخرين لم يقفوا عليها في الآثار التي لاتزال مدفونة في الرمال. أما العرب فقد خالفوا ما ذكره هؤلاء من بعض الوجوه، فقالوا إن عدد ملوك حمير الذين حكموا حضرموت (١٦) ومدة حكمهم ١٧٠٠ سنة. ومما دونته التواريخ أن دولة حمير دولة قوة وفتح وحضارة، فشمريرعش أو كرب أول ملك حميري حضرمي اخترق بجيشه شمال الجزيرة العربية وغزا العراق وفارس ووصل إلى مدينة الصفد وراء جيحون. واخترق أفريقس شمال أفريقيا وفتح المغرب ونقل قبائل عربية إليها، ووطئ **أسعد أبو كرب** أرض أذربيجان وحارب الترك، وبعث ابنه حسانًا إلى الصفد وابنه جعفرًا إلى القسطنطينية والروم، فقدم له أهل القسطنطينية الجزية، وسار إلى روما وحصرها، وأرسل ابن أخيه شمر ذا الجناح إلى الفرس فهزمهم، وغزا الصين فوجد حسانًا قد سبقه إليها فغلبا الصين وانصرفا بما معهما من الغنائم. وقيل إن قومًا من الحميريين أعجبتهم بلاد الصين فاستوطنوها واندمجوا في أهلها وتخلقوا بأخلاقهم. وفي سنة ٣٤٥م غزا الأحباش الحميريين فاستولوا على اليمن وحكموها نحو ٢٨ سنة ولكن حضرموت لم تخضع لحكمهم سواء في أيام العلي إسكندي أو في عهد ولديه عبزاناس وسازاناس، وكذلك حافظت على

استقلالها أيام أريا وأبرهة ويكسوم ومسروق.

ازدهار التجارة في عصرهم :

بالرغم عن انشغال الدولة الحميرية بالحروب والفتح فقد بذلوا كل مستطاع لترقية التجارة ولتقوية الروابط الاقتصادية بينهم وبين الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، وبينهم وبين نجد والحجاز والشام ومصر، وكانت مدينة الشحر أعظم ميناء وأكبر مركز تجاري في جنوب بلاد العرب، فكانوا يأتون من الهند بالدر والياقوت والزبرجد والعاج والأطياب وخشب الأبنوس والقطن والتوابل، ومن سواحل أفريقيا الشرقية الذهب والعاج والعطور وريش النعام، ومن البحرين كانوا يأتون باللؤلؤ. قال بطليموس إن هذه الأصناف وغيرها من غلات حضرموت كالبخور واللبان والمر واللادن وما إلى ذلك تحملها القوافل من حضرموت وتسير بها شمالاً مخترقة رمال الدهناء إلى نجد، ثم تعطف الى الحجاز ومن هناك يستلمها المدْيَنيون والأنباط ويذهبون بها إلى مدائن صالح فإلى سلع (بترا)، ومن سلع تسير إلى مصر أو إلى فلسطين وإلى صور وغزة وغيرها من شواطىء البحر الأبيض.

ولما تولى عرش مصر **سبتي** وقيل ابنه **سيزوستريس الثاني** احتفر القناة الموصلة بين النيل والبحر الأحمر، وأرسل سفنه التجارية إلى الشحر وغيرها من موانئ جنوب بلاد العرب، فاتجهت أنظار الحضارمة إلى إرسال متاجرهم بطريق البحر فارتقت الملاحة الحضرمية وانتعشت أسواق حضرموت. ولما مات سبتي أو سيزوستريس أهملت القناة وتعطلت ولم

يهتم المصريون بالأسفار، فانكمشت الملاحة الحضرمية وتقلصت مواصلاتهم البحرية، لكن لم تطل المدة على تلك الحال حتى نهض ملك **أورشليم سليمان** وأنشأ السفن في عصيون جابر على مقربة من أيلة (العقبة) بمساعدة **حيرام** ملك صور، ثم أرسلا سفنهما تجري في البحر وترسو في ميناء الشحر وزفر (ظفار) وغيرها من مواني جنوب بلاد العرب وسواحل أفريقيا الشرقية والهند والخليج الفارسي، فعادت الملاحة الحضرمية إلى نشاطها الأول وانتعشت الأسواق من جديد، ولما توفي سليمان ملك بني إسرائيل لم يهتم حيرام ملك صور بالأسفار فعاد الحضرميون إلى إرسال متاجرهم بالقوافل. ولقد أسس الحضرميون جالية كبيرة في الهند في جدروزيا الواقعة بين جبل كربيلا ومصب نهر السند، وبنوا مدنا وأنشأوا أسطولا وقبضوا على زمام التجارة هناك وكانت سلطتهم دونها كل سلطة. قال العلامة المسيو **جيّان Guillain** في كتابه **Documents, Sur L, Histoere, La Geo - Graphie et Le Commerce De L, Afrique Orientale** "**وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية**":

«قبض العرب منذ أقدم العصور على زمام التجارة البحرية وبخاصة في الشرق، فكانت سفنهم هي الوحيدة التي تمخر المحيط وبخاصة فيما بين بلادهم والهند التي كانت لهم جالية على سواحلها قرب نهر السند هي التي أسماها الهنود عربيتو **Arabitoe** أي العرب، ولما أرسل إسكندر المقدوني قائد أسطوله نيارك **Nearque** لاستكشاف بحر الهند وجد بسواحل جدروزيا آثاراً دالة على نفوذ العرب من مدن عربية، وأساطيل عربية وكان

الربان الذي أرشده في ذلك البحر عربيًا».

حضارة حضرموت :

بلغ الحميريون من المدنية والحضارة مبلغًا ليس له في عهدهم مثيل، فقد بنوا القصور الشاهقة، وعمروا المدن الواسعة، واحتفروا الترع والسواقي، وأنشأوا السدود (الخزانات)، واغترسوا الحدائق والبساتين، وكانوا في ترف ونعيم، لباسهم من أفخر الأنسجة، ورياشهم من الحرير، وآنيتهم محلاة بالذهب، وأثاثهم مزين بالفضة. قال **نورمان** نقلاً عن **أغاثرسيدس** في الجزء الثالث من كتابه **«خلاصة تاريخ الشرق القديم»** **Manuel de l'histoir Anciene de l'Orient** إن قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب، وإنهم يعلقون على أبواب منازلهم صحائف الذهب المرصعة بالجواهر، وتحيط منازلهم بساتين غناء، ولديهم الموائد والأسرة من الفضة، والرياش من أفخر الأنسجة، إلى آخر ما هناك مما يفوق التصديق.

ولعل أكثر الناس يندهشون من بذخ الحميريين وترفهم، ولعلهم لا يؤمنون بما كان يستعمله أولئك الأسلاف من الذهب والفضة والجواهر في أثاثهم وآنيتهم وحيطان منازلهم وأبوابها؛ لأن بلاد العرب كما يعتقدون ليست كلفورنيا أو أرجنتينا في معادنها، وإنما هي جبال جرداء وصحاري جدباء ورمال غبراء، ولو كانت هناك مناجم لكان لها اليوم أثره. والحقيقة أن ما قيل عن حضارة الحميريين ومدنيتهم حق باتفاق المؤرخين، وأن بلاد العرب كانت قديما تشبه كلفورنيا وأرجنتينا في مناجم الذهب والفضة، وأكثر هذه المناجم وأقدمها عهدًا في مدين. ولقد ألف **بارتون Burton**

كتابه الموسوم **The Gold Mines Of Midian** «معادن الذهب في مدين» وصف فيه معادن بلاد مدين وماكان يستخرج منها من الذهب والفضة والفصوص والبلّور، وذكر كثيرًا من آثار تلك المناجم العظيمة. ثم إن هناك مدينة زفر كان بها أعظم منجم للذهب في عهد بلقيس إلى ما بعد ظهور الإسلام. جاء في التوراة (الإصحاح ٨ عدد ١٧من سفر الأخبار): «حينئذ ذهب سليمان إلى عصيون جابر وإلى أيلة على شاطئ البحر في أرض أدوم، وأرسل له حورام بيد عبيده سفنًا وعبيدًا يعرفون البحر، فأتوا مع عبيد سليمان الى أوفير - زفز - وأخذوا هناك ٤٥٠ وزنة ذهب وأتوا بها إلى الملك سليمان».

أما موقع أوفير أو زفر فقد اختلف فيه المؤرخون وأتوا بأقوال متضاربة قال المسيوجيان **Mr. Guillain** إنها في الساحل الشرقي عن أفريقية، وقال: إن العرب كانوا يستخرجون منها الذهب وإن لهم فيها مغاير لاتزال مشهودة وقد رآها الكابتن بانجر الفرنسي وعلى قبرياتها أسماء أصحابها منقوشة بالعربية وهم الذين أسموها زفر. وقال آخر إنها في الهند. وقال العلامة المرحوم أحمد زكي باشا: أوفير هي مدينة (وبار). وقال المستشرق الفرنسي العلامة كاترمير **Quatremere** إنها على سواحل بلاد العرب. وقال الجغرافي الفرنسي جوزيف جوسلن **Gosselin** في الجزء الثاني من كتابه المرسوم «أبحاث في الجغرافيا الأصولية عند الأقدمين» إن ظفر هي ظفار **Dafar**.

هكذا تضاربت آراء العلماء، وإذا فرضنا جدلاً أن زفر في الهند أو في سواحل أفريقية الشرقية فإن هذا يجعلنا نشك فيما قاله المؤرخون من أن الحميريين كانوا يصنعون آنيتهم من الذهب ويزينون حيطان غرفهم بالحجارة الكريمة ويعلقون أمام منازلهم صحائف الذهب المرصعة بالجواهر، إذ ليس من المعقول أن يأتوا بتلك المعادن الثمينة من الهند ومن سواحل أفريقية الشرقية والمسافة بينهم وبين تلك البلاد النائية بضعة شهور، الأمر الذي يكلفهم مصاريف باهظة ومتاعب شاقة. ليس من المحتمل أن يجلبوا تلك المعادن الغالية من البلاد القاصية ثم يصنعوا منها آنيتهم ويزينوا بها أثاثهم ومنازلهم، إذن لابد أن تكون زفر من بلاد العرب ولابد أن تكون من أراضي الدولة الحميرية أو على مقربة منها. إذن فالقول ما قاله العلامة الجغرافي الفرنسي جوسلن **Gosselin** بأن زفر هي ظفار التي كانت داخلة في حدود حضرموت، وليس هناك فرق بين الكلمتين كالفرق الذي بين زفر ووبار.

أما عدم وجود أثر للمناجم اليوم فهذا لاينهض حجة في عدم وجود معادن البتة، وإنه لمن المحتمل أن تكون هناك مناجم كثيرة لمعادن ثمينة لا تزال بكرًا، ولكن الجهل الضارب أطنابه في جنوب الجزيرة العربية الآن هو الذي أعمى أبصارنا عن مواقع تلك المناجم وحرمنا استغلال تلك الكنوز الثمينة.

الآثار :

لعاد والأقيال وملوك حمير آثار هامة وكنوز ثمينة لايزال أغلبها مطمورا تحت الرمال ومدفوناً في بطون الأودية والجبال، فهناك صخور عليها كتابات ورموز ونقوش لايوجد بين أهلها من يحل أسرارها، وهناك أيضا مغارات عميقة منحوتة في الجبال قيل إن فيها كنوزا وآثاراً، ولكن أغلب الأهالي يعتقدون أنها مساكن الجن، وقد حاول أفراد دخولها فانطفأت المصابيح التي حملوها معهم لكثرة ما فيها من ثاني أكسيد الكربون فعادوا خوفًا من أن يضلوا الطريق فيهلكوا.

وفي سنة ١٣٣٥هـ جاء سيل عظيم فكشف عن آثار هامة من حلي ونقود وتماثيل من ذهب ومن فضة بيع جلها في عدن وجيبوتي بثمن بخس.

ومن يقارن الآثار الحضرمية القديمة بالآثار المصرية القديمة يجدها متشابهة تمام التشابه، وفي ذلك حجة أخرى لبعض المستشرقين من الألمان وغيرهم على أن المصريين القدماء فوج من قبائل آسيوية مرت بحضرموت في طريقها إلى الحبشة ثم إلى وادي النيل. ومن دواعي الأسف أنه لايوجد في حضرموت اليوم من يعرف فن الآثار أو يهتم بالبحث عن مخلفات الآباء والجدود. وياليت المشتغلين بفن الآثار من إخواننا المصريين والسوريين يرسلون طائفة منهم إلى حضرموت لاكتشاف الآثار القيمة والكنوز الثمينة قبل أن يسبقهم إليها الغربيون، وإنهم بلا شك سوف يجدون من الحكومة ومن الشعب كل مساعدة وكل تشجيع.

الدور الإسلامي :

في السنة السابعة للهجرة وفد على رسول الله ﷺ **وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل الحضرمي**، وقيل إن رسول الله ﷺ بشر به أصحابه قبل قدومه وقال يأتيكم بقية أبناء الملوك، فلما جاء رحب به وأدنى مجلسه وبسط له رداءه وقال «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده» واستعمله على الأقيال من حضرموت. وروى صاحب **«البداية والنهاية»** أن النبي ﷺ أقطعه أرضًا وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان فخرج معه راجلا فشكا إليه حر الرمضاء فقال له انتعل ظل الناقة فقال وما يغني عني ذلك، لو جعلتني ردفا، فقال له وائل اسكت فلست من أرداف الملوك. ثم عاش وائل حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين فعرفه معاوية ورحب به وأذكره الحديث وعرض عليه جائزة سنية فأبى أن يأخذها وقال: **أعطها من هو أحوج إليها مني.**

جاء الإسلام و**كندة** صاحبة الحول والطول والتاج والصولجان، وقد هاجرت من البحرين والمشقّر بعد قتل **ابن الجون**، وكان الذي نقل منهم الى حضرموت نيفا وثلاثين ألفًا وكانوا من أوائل الداخلين في الإسلام، ذكر بعض المؤرخين أن **الأشعث بن قيس** أحد سادات **كندة** قدم على رسول الله ﷺ في بضعة عشر راكبًا مسلمًا، ولما أراد الانصراف سأل النبي ﷺ أن يولي عليهم رجلاً فولى عليهم **زياد بن لبيد البياضي الأنصاري**، ولما توفي رسول الله ﷺ امتنع الأشعث بن قيس عن البيعة **لأبي بكر** رضي الله عنه، واعتزل في كثير من **كندة** وامتنعوا عن دفع الزكاة لزياد،

فحاربهم زياد وأسر الأشعث وبعث به إلى **أبي بكر في سنة ١٢هـ، فجعل** يكلم أبابكر **وأبو بكر** يقول فعلت وفعلت، فقال **الأشعث** استبقني لحربك فوالله ما كفرت بعد إسلامي ولكـن شححت على مالي، **فأطلقه أبو بكر** وزوجه أخته **أم فروة**، ولم يزل بالمدينة إلى أن سار إلى **العراق** غازيًا ومات بالكوفة وصلى عليه **الحسن** بعد صلح **معاوية**.

وفي **أيام مروان بن محمد ظهر عبدالله بن يحيى الكندي الملقب بطالب الحق** وأراد الخلافة لنفسه، وكان مجتهدًا عابدًا صالحًا رأى باليمن سيرة في الناس قبيحة فسار من حضرموت إلى صنعاء سنة ١٢٩ في ألفين من أصحابه واستولى عليها وأقام بها أشهرًا يحسن السيرة في الناس فعظم قدره وعلا مقامه، ثم استولى على مكة والمدينة عنوة على يد قائده أبي حمزة المختار، فخاف **مروان** أن يستولى الحضارمة على الشام فانتخب أربعة آلاف من أبطال عسكره وبعث بهم تحت قيادة **عبدالملك بن عطية** واستردوا المدينة عنوة ثم زحفوا إلى مكة واستولوا عليها عنوة وقتلوا أبا حمزة وزوجته وكانت ذات شجاعة وإقدام وقتلوا أربعمائة من عسكره. ثم سار جيش الشام إلى صنعاء لقتال **عبدالله بن يحيى الكندي** فالتقى بهم **الكندي في** ألف فارس فقُتل الكندي ومن معه **واستولى ابن عطية** على صنعاء ثم أخذ يتتبع أصحاب **الكندي** حتى بلغ إلى حضرموت واستولى على شبام وما حولها، ثم ورد عليه كتاب **مروان يأمره** بالتعجل إلى مكة ليحج بالناس فشخص ابن عطية إلى مكة مع نفر من أصحابه فاعترضته

جماعة من **كندة** وقتلته ومن معه، ولما بلغ ذلك ابن أخيه **عبدالرحمن بن يزيد بن عطية** وكان واليا على صنعاء أرسل إلى حضرموت جيشًا بقيادة **شعيب الباقري فأسرفوا في القتل**، ولما انتقلت **الخلافة** إلى العباسيين بدأت دولة **كندة** تتقلص وتنكمش.

ولقد كانت لنهضة بغداد العلمية ولتنشيط **المأمون** للعلماء والأدباء واهتمامه بالبحوث الدينية والفلسفية صدى عظيماً في حضرموت، فهب أهل تريم وشبام والهجرين والشحر يطلبون المعرفة لذات المعرفة، إذ لم تكن هناك وظائف توزع على المتعلمين ولا عطايا تمنح للأدباء، وكان العلماء يقومون بالتعليم مجانًا. ثم ظهرت سلطنة **آل راشد** وهم بطن من حمير هاجروا من اليمن إلى حضرموت بعد سيل العرم، وكانوا أهل زهد وورع، وأشهر سلاطينهم العالم الجليل **عبدالله بن راشد بن أبي قحطان الحميري** المولود بتريم سنة ٥٥٣هـ، وقد تفقه في الدين على بعض أئمة تريم والهجرين، وتولى السلطنة سنة ٢٥ فحكم بين الناس بالعدل ونفذ فيهم أحكامه الشريفة، وفي أواخر أيامه تبتل للعبادة وقتل غدرًا سنة ٦١٢هـ، وبقتله انتشرت الفوضى وعم الخراب في حضرموت الوسطى، ثم تولى **نهد** حكم حضرموت الوسطى بطلب من **أهلها** وكانوا أهل قناعة وكرم. وبعد مضي ثلاث سنوات على توليهم الحكم عادوا لإصلاح بلادهم التي دمرها سيل العرم سنة ٦٢٣هـ، وقام بالأمر بعدهم أفراد من أعيان البلاد، وتنتسب **نهد** إلى **قضاعة**، ومساكنهم: قعوظة ومشراح والخماس والعجلانية.

الدولة الكثيرية :

آل كثير من أعظم قبائل همدان وأشدها قوة، طمحوا في الملك وسعو إليه من قديم ولكنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لأن كندة كانت باسطة ذراعيها علـى الأحقاف. وفي سنة ٧٨٦هـ استولوا على الشحر وطردوا منها كندة، واشتهر منهم **السلطان بدر بن محمد الكثيري** فقد كان ذا سيرة مرضية عند جميع الناس وبذل غاية مجهوده لإعادة مجد الشحر وشهرتها الواسعة التي بلغت في الجاهلية إلى أقصى حدود الجزيرة العربية ورن صداها في آذان الفينيقيين والكلدانيين. ومن سوء حظ السلطان بدر أن عشيرته آل كثير بحضرموت الداخلية لم تعضده وتساعده بالمال والرجال، وقد انتهزت **كندة** هذه الفرصة فهجمت على الشحر واستولت عليها سنة ٨٣٨هـ على يد قائدها المقدام **سعيد بن مبارك ابن فارس بادجانة الكندي**، ثم صارت دولة آل كثير تتمدد مرة وتنكمش أخرى حتى بعث الله لآل كثير شابًا حاد الذكاء بعيد النظر كبير الهمة عظيم المطمح هو **الأمير بدر بوطويرق** المولود سنة ٩٠٢هـ، فقد أتى هذا النبيل بقوم من اليمن من يافع واستأجر جندًا من الترك واستولى بهؤلاء وأولئك على شبام سنة ٩٢٦ وحصنها برجال من يافع (الموسطة)، ثم استولى على سيوون وتريم وحصنهما برجال من يافع (الظبي وآل لبعوس)، ثم استولى على قرى أخرى كهينن والهجرين وغيرهما. هكذا أحيا الأمير بدر بوطويرق الدولة الكثيرية بعد اندثارها، وأعاد لقومه آل كثير القوة والسلطان. وفي سنة ٩٤٥هـ حاول الترك الاستيلاء على حضرموت فمنعهم السلطان بدر

بوطويرق، ثم اعترف لهم بالتابعية اسماً وأرسل جيوشه لفك حصارهم في زبيد وألزم أهل اليمن بالطاعة لهم، وتوفي في سنة ٩٧٧هـ، ولقد حزنت الأمة لوفاته أشد الحزن ونعته الدولة العثمانية وأمراء اليمن.

وفي سنة ١٠٦٩هـ أرسل إمام اليمن **المتوكل على الله إسماعيل** جيشًا تحت قيادة **أحمد بن الحسن الصفي** للاستيلاء على حضرموت وللانتقام من **السلطان بدر بن عبدالله الكثيري** لحبسه عمه **السلطان بدر بن عمر**، فاستولى الصفي على الهجرين وهينن وشبام وأسرف في البطش ولذلك سماه أهل حضرموت بسيل الليل.

وفي أيام **السلطان عيسى بن بدر الكثيري** سنة ١١١٦هـ أعلنت يافع (الرتب) الاستقلال التام في شبام وسيوون وتريم وفي الشحر والغيل، وقام جماعة من آل كثير لاسترداد ملكهم المفقود فلم يستطيعوا لأن الحصون والذخائر في أيدي يافع.

وفي سنة ١٢٦٠هـ جاء **السلطان غالب بن محسن الكثيري** من الهند بثروة عظيمة وجمع قومه ووحد صفوفهم وقوض بهم سطوة يافع وفتح الشحر عنوة في جمادي الآخر سنة ١٢٨٣هـ، فأحيا السلطان غالب الدولة الكثيرية ووحد صفوف قومه ورفع ذكرهم ويعتبر المؤسس للدولة الكثيرية الفتية، وتوفى رحمه الله سنة ١٢٨٧هـ، وكان حسن الشمائل وافر العقل كثير العدل شجاعًا مقدامًا.

الدولة اليافعية :

يافع من أكبر قبائل حمير وأشدها قوة وأكرمها خلقًا، يبلغ عدد حملة السلاح منهم في بلادهم باليمن السفلى نحو ١٤٠ ألفًا، وهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم ويقال لهم اليوافع أو بنو مالك أو يافع وهو المشهور. أتى بقوم منهم إلى حضرموت السلطان بدر بوطويرق الكثيري كما تقدم، ولما تقوى نفوذهم في الدولة الكثيرية استولوا على شبام وسيوون وتريم ومريمة وعلى الشواطئ ثم قوض سلطتهم السلطان غالب بن محسن الكثيري. وفي سنة ١٢٧٤هـ جاء الأمير عمر بن عوض القعيطي أحد أمراء الجالية الحضرمية في حيدرآباد الدكن ونصر قومه يافع وأحيا ذكرهم ورفع قدرهم وبوأهم مقعدًا عليًا، وقد ظفر بشبام خدعة سنة ١١٧٤هـ على يد مولاه الحاج الماس الحبشي وجعلها نواة لملكه الجديد ومقرًا للدولة اليافعية الفتية.

ولما توفي قام بالأمر بعده أولاده الأمراء عوض وصالح وعبدالله.

والسلطان عوض بن عمر أعظم شخصية في الشعب الحضرمي، ولد سنة ١٢١٦هـ وفي سنة ١٢٨٤هـ فتح الشحر عنوة وقوض منها سلطان آل كثير، ثم استولى على حجر سنة ١٣١٠هـ وهي أخصب بقعة في حضرموت، واستولى على دوعن، وكاتب الإنجليز على يد الأمير عبدالله بن عوض وتوفي رحمه الله عام ١٣٢٧هـ. وكان حاد الذكاء بعيد النظر طاهر الذيل شجاعًا مقدامًا. ولي الملك فأحسن القيام به وأظهر السطوة وقهر أهل البادية وغيرهم فهابته النفوس وأمنت البلاد واستقر السلام. ثم قام بالأمر السلطان غالب بن عوض القعيطي فسلك سبل أخيه وكان محبوبا

من جميع الناس، وفي سنة ١٣٣٦هـ عقدت معاهدة في عدن تحت إشراف الحكومة الإنجليزية بين الدولتين اليافعية والكثيرية على أن تتحدا وتتعاونا على إصلاح العباد وعمران البلاد.

وبعد وفاة السلطان غالب بن عوض قام بالأمر أخوه السلطان عمر بن عوض القعيطي الموجود في ثغر حضرموت الأكبر وهو يحكم الشواطئ من مهرة شرقًا إلى وادي حجر ويحكم جميع دوعن وشبام والقطن، وقد بدأ يهتم بإصلاح البلاد وعزل وزيره السيد أبابكر بن حسين لمحضار الذي كان عقبة في سبيل الاصلاح وأقام محله المصلح المقدام سالم بن أحمد القعيطي (وللعائلة القعيطية أملاك واسعة النطاق في الهند يديرها ولي عهد الدولة القعيطية اليافعية سمو الأمير المحبوب صالح بن غالب القعيطي).

والدولة الكثيرية ـ وتدعى بحكومة آل عبدالله ـ تحكم الآن[1] بحسب معاهدة عدن جميع سيوون وتريم وهما من أعظم المدن في القطر الحضرمي وغرف آل زيدان وتريس وغيل الشنافرة، وسلطانها علي بن منصور بن غالب الكثيري محبوب من الجميع، وللأمة الحضرمية عظيم الأمل في أن يتم على يديه ويدي السلطان عمر بن عوض القعيطي كل صلاح وفلاح وتزهو في عهدهما النهضة المباركة التي ظهرت في المهجر وبدأت تتسرب إلى الوطن بسعي الأسرتين الكريمتين آل طالب وآل عمودي (١٩٣٤م).

(م . ب . ح)

(١) سنه النشر ١٣٥٣ هـ

الزراعـة :

ليس في حضرموت أنهار سوى نهر واحد في حجر أما الجهات الأخرى فبقاع غامرة ما عدا أجزاء صغيرة. وأراضي حضرموت الوسطى من الفرط غربًا إلى قبر هود عليه السلام شرقًا أكثر صلاحية للزراعة من غيرها لقرب ماء الآبار وكثرة الطمي الذي تأتي به سيول أودية حضرموت الغربية. ويزرع في حضرموت الوسطى ثلاثة أنواع من الحبوب هي: القمح والذرة والدخن. والنخيل هناك كثير جدًا وبلحه أجود بلح في حضرموت.

وتعتمد الحراثة على البقر والجمال والحمير، ولاتزال النواعير والدواليب تستخدم لانتزاح الماء من الآبار. وقد بدأ بعض الزراع يقتنون الماكينات النازحة للماء. وأهم الصادرات التبغ الحمومي وهذا يزرع بكثرة في الغيل ويسقى من عيون جارية، ويخرج من بعض الجبال اللبان الشحري والصبر والمر، ومن دوعن يصدر أجود عسل في الدنيا. والتجارة هناك كاسدة وأهم مركز تجاري مدينة شبام وإليها ترد القوافل من أنحاء اليمن، والمواصلات صعبة لكثرة العقبات ذات الانحدار الهائل. والأمن في البادية مفقود، وتبنى البيوت من الطين المخلوط بالتبن الذي يقوم مقام المونة حيث يمتص من الجو ثاني أكسيد الكربون بسرعة فيتماسك البناء ويشد بعضه بعضًا، وأكبر مدن حضرموت شبام وسيوون وتريم والمكلا، وفي هذه المدن نواطح السحاب وهذه النواطح مطلية من الداخل والخارج بالجير الأبيض مما زاد منظرها روعة وجمالاً.. والجو حار جدًا في الصيف

وقارس في الشتاء وهو صحي، والأمراض التي يصاب بعض الناس بها الجدري والحصبة والحمى من نوع (الورد) والرمد، ولبعض الناس مهارة عظيمة في معالجة الأمراض بالكي.

السكان :

ينقسم سكان حضرموت من الوجهة الاجتماعية إلى ثلاث طوائف كبرى:

أولها : حملة السلاح ويقال لهم القبائل وهم الأغلبية الساحقة وهم أصحاب الكلمة النافذة والأمر المطاع، ومنهم تتكون الدولتان القعيطية والكثيرية. وبعض حملة السلاح مغلوبون على أمرهم يحارب بعضهم بعضًا، ولكن حينما يأتيهم عدو من الخارج يتناسون ما بينهم من النزاع والخصام ويهبون جميعًا لمقاتلته وصد هجماته، فإذا انتهوا من أمره عادوا إلى ما كانوا فيه من قبل. وأكبر القبائل حملة السلاح: يافع وآل كثير ونهد وآل تميم، وهؤلاء من الحضر، والمناهيل والعوابثة والحموم، وهؤلاء من البادية.

ثانيها : الزراع وأهل المتاجر ومن ضاهاهم، وهؤلاء يصلحون البلاد بمهنهم أكثر من غيرهم ولا يستطيع نكران فضلهم أحد.

ثالثها : العلويون وقد هاجروا من البصرة إلى حضرموت سنة ٣١٧هـ ولهم سلطة روحية أشبه بسلطة مشايخ الطرق وكانت في السابق أكثر مما هي عليه الآن. وهذا طبيعي لما طرأ على الأمة من تطور في المعارف والأفكار. ويلحق بآل علوي آل باوزير وآل العمودي وسلطتهم الروحية في

الدرجة الثانية.

والمرأة الحضرمية مبالغة في الحجاب وهي مثال العفة والشرف والصبر والقناعة مخلصة لزوجها كل الإخلاص، وهي كالمرأة الإنجليزية واليابانية تحب العمل وتقوم بنفسها بخدمة البيت، ولا عيب فيها سوى الجهل.

الأحكام:

تصدر في جميع المشاكل والمخاصمات ما عدا المواريث والأنكحة بحسب العرف إذ ليس هناك قوانين مدنية أو جنائية مكتوبة في كتاب. ولكل قبيلة من القبائل غير الخاضعة للحكومتين القعيطية والكثيرية حاكم يقال له المقدَّم أو الحكم. ويعد أغلب المتسلحين الدية في القتيل عيبًا واسقاطًا للقدر، ولذلك اشتهروا بأخذ الثأر وحب الانتقام.

المعارف:

قلنا إن حركة بغداد العلمية أحدثت أثرًا حسنًا في حضرموت، ولكن لم تظهر هناك آراء شاذة كالقول بخلق القرآن وتناسخ الأرواح. وإنما كان همُّ الحضارم تحصيل علوم اللغة والدين، وكان في تريم فقط سنة ٨١٦هـ نحو ٣٠٠ عالم بلغوا درجة الإفتاء، ولقد اشتهر من فطاحل العلماء كثيرون منهم: **يحيى بن سالم بن فضل** (بافضل) الملقب بسيد أهل العلم، **وعبدالرحمن بن علي بن أبي حسان، ومحمد بن أبي بكر عباد، وفضل بن إبراهيم بن أبي جواس**. وأعظم شاعر عرفته حضرموت هو السيد **عبدالصمد بن عبدالله باكثير**، وكان كاتبًا للسلطان **عبدالله بن عمر الكثيري**،

وله ديوان كبير لم يطبع بعد. وفي سنة ٥٧٦ غزا حضرموت **عثمان الزنجبيلي** والي عدن من قبل دولة بني أيوب وقتل كثيرًا من العلماء والفضلاء، فخمدت الحركة العلمية بعد ذلك وتضاءل نورها وكاد ينطفئ.

ومن سوء حظنا وحظ أولئك العلماء الأعلام أنهم لم يهتموا بالتدوين كثيرًا فشعر الشعراء ورسائل البلغاء وفتاوى العلماء لم تدون في الكتب، ولذلك ضاعت. ولقد كتب **عبدالصمد باكثير** شاعر حضرموت الأكبر ديوانه القيم ولكنه لم يدون لنا رسائله البليغة التي كان يبعثها لولاة اليمن والدولة العثمانية، ولم يدوّن أيضًا خطبه السياسية والحماسية التي كان يلقيها في جامع الشحر لحث الشعب على القيام في جانب الدولة الكثيرية ضد المعارضين والمناوئين، ولو أن تلك الرسائل القيمة والخطب البليغة دونت لكانت من أكبر الوثائق التاريخية التي تنير لنا تاريخ حضرموت الغامض.

وفي السنين الأخيرة عادت الحركة العلمية تنشط من جديد وهب الحضارم يقبلون على دور العلم بشغف وخصوصًا في سيوون وتريم، فإن حالة الأهالي العلمية هناك أرقى من جميع أنحاء حضرموت، ولكن المدارس سواء التي في تريم أو في غيرها ليس في مقدورها تكوين ناشئة راقية مهذبة، ولا في استطاعتها أن تخلق لنا خلقًا جديدًا يزاحم الأمم في معترك الحياة ويشاركها في نواميس الاجتماع، ذلك لأنها لاتزال ابتدائية، وكل المواد التي تدرس فيها لاتتجاوز علوم اللغة والدين، فعسى أن تقوم حكومتنا القعيطي وأبي عبدالله بتأدية الواجبات الوطنية والقومية، فيؤسسوا

المدارس الراقية ويجلبوا لها المعلمين الأكفاء ويرسلوا إلى الخارج البعثات لطلب العلوم العصرية، فإن عصرنا عصر علم ونور أمسى الجهلاء فيه آلات صماء يستخدمها العالمون، والإسلام لم يأت لسعادة الآخرة فقط بل جاء أيضًا لسعادة الدنيا، ولقد أمرنا أن نطلب العلم دون أن ننظر إلى مصدره. قال النبي ﷺ «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها» وقال تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾.

وحيث إن القوة اليوم هي الطائرات والغواصات والدبابات والمترليوزات والجنود المنظمون، فيجب علينا معشر المسلمين أن نتعلم الهندسة والصناعة والكيمياء والطب والجندية وغير ذلك من علوم الحياة ونعدّ لنا قوة في السماء وفي الماء وعلى الأرض، لا لندمر العالم ونعبث بالسلام ولكن لندافع عن أنفسنا وديننا وعن أموالنا وديارنا.

الحضارمة والهجرة:

الحضارمة من أكثر أمم الأرض إقدامًا على الأسفار وأكثرها صبرًا على خوض الغمرات، بعيدو الهمة كبيرو المطامع، ولعوا بجوب الآفاق من قديم. ولما جاء الإسلام وامتدت فتوحاته هاجر قوم منهم إلى سواحل الصومال وشواطئ أفريقية الشرقية حتى رأس الرجاء الصالح ومدغشقر فأسلم بدعوتهم من أسلم من أهالي تلك البلاد النائية. وهاجر فوج إلى الشمال، ولعصاميتهم وعبقريتهم نالوا القضاء في دمشق ومصر والأندلس. وفي سنة ١٢٩٢هـ بدأوا يهاجرون أفرادًا وجماعات إلى

إندونيسيا (جاوة وماحولها من الجزائر) وكانوا أكبر الأيدي العاملة لنشر الإسلام في تلك الأصقاع النائية. ولقد أصبح الأرخبيل الماليزي بوجه عام وجاوه بوجه خاص وطنًا ثانيًا لهم اليوم، فإن مركزهم التجاري بجاوه أشد ثبوتا وأقوى رسوخًا منه بحضرموت، واتسع نطاق ثرواتهم اتساعا ماكانوا يحلمون به من قبل ونزوحهم من الوطن يزداد بكثرة على مر الليالي والأيام، وقد بلغ عددهم اليوم (١٩٣٤م) في إندونيسيا نحو خمسين ألفًا، وقد اشتهروا بالأمانة والوفاء بالعهد وحب المساعدة في المشاريع الخيرية العامة. ولقد أسسوا هناك مدارس لتعليم النشء اللغة العربية والدين، وكانت هذه المدارس عبارة عن كتاتيب ولكن منذ عشرين سنة ترقت نوعًا، وزاد المقرر في اللغة والدين كثيرًا، وأدخلت مبادئ بسيطة جدًا من علوم الحساب والجغرافيا والتاريخ، كما أُدخل عليها شيء من نظام التعليم العصري، وهي لاتزال ابتدائية، ولقد ساعدت تلك المدارس على نشر اللغة العربية لا بين أبناء العرب فقط، بل وبين أبناء الجاويين أيضًا، فإن أكثر من ثلاثين في المائة من تلاميذ المدارس العربية من الإندونيسيين.

وأكبر المدارس العربية وأكثرها نتائج هي مدرسة جمعية خير العلوية في بتافيا، ومدارس جمعية الإصلاح والإرشاد البالغ عددها نحو أربعين مدرسة في إندونيسيا وفي حضرموت، ولقد ساعد على نشر مبدأ مدارس الإرشاد الجمعية المحمدية الوطنية التي يبلغ عدد فروعها في أرجاء إندونيسيا أكثر من ثلاثمائة فرع، فإن مبدأ هذه الجمعية كمبدأ جمعية الإرشاد وهو السعي لإزالة البدع والخرافات ونشر تعاليم الإسلام

الصحيحة. ومنذ بضع سنين أسست في مدينة صولو مدرسة عربية هولندية وهي المدرسة العربية الوحيدة الخاضعة لوزارة المعارف التي يستطيع خريجوها أن يتمموا دراستهم في مدارس الحكومة العالية.

ومن دواعي الأسف أن العرب هناك منقسمون إلى حزبين: علويين وإرشاديين وكلٌ من هذين الحزبين ناقم على الآخر ونافر منه.

ونحن نرجو من الصميم أن لايطول أمد هذا الشقاق والخلاف، وندعو الله أن يؤلف بين قلوب الحزبين ويجمع كلمتهم ويوحد صفوفهم فإنهم يدينون بدين واحد هو الإسلام، وينتسبون إلى وطن واحد هو حضرموت، ويتكلمون بلغة واحدة هي اللغة العربية، والشرق الإسلامي اليوم في أشد الحاجة إلى التضامن والتعاون وتنشيط العلائق وتوطيد أواصر الوحدة بين أبنائه وربط عرى الصداقة بينهم برباط متين من التساند والتعاضد والاتحاد والوئام.

تأثير نهضة مصر في الحضارم:

ينظر الحضرميون إلى مصر نظرات احترام وإجلال، ويكنون لها في قلوبهم من الحب والولاء ما الله به عليم، يسعدهم ما يسعد مصر ويفرحهم ما يفرحها ويؤلمهم ما يؤلمها. وهذا الولاء وهذا الاحترام وهذه العواطف جاءت لسببين هما: رابطة الإسلام بين القطرين، ورقي الثقافة العربية واتساع نطاقها. فجميع المدارس الحضرمية وخصوصًا المدارس التي في المهجر (إندونيسيا) بدأت تحذو حذو المدارس المصرية في بعض نظمها، وكل الكتب المقرر تدريسها فيها كتب مصرية ومؤلفوها مصريون.

ولقد شعر العرب بحاجتهم الشديدة إلى طلب العلوم الراقية في مصر، فأرسل بعض أعضاء جمعية الإرشاد في سنة ١٩٣٠م بعثة علمية أعضاؤها عشرة ليتعلموا في الأزهر الشريف ودار العلوم وفي المدارس الثانوية وفي الجامعة المصرية، ولاشك أنهم بعد أن ينالوا حظهم من العلم ينشرون ما تعلموه، وبذلك يزداد في الحضارم فضل مصر والمصريين.

أما الصحف المصرية فجميعها يقرؤها الحضارم وخصوصًا الذين في المهجر، وأكثر المجلات المصرية انتشارًا وأعظمها نفعا هي "الفتح" "والمنار"، وهنا يجب علينا أن نذكر أن مجلة المنار من أعظم الأسباب التي هيأت أفكار العرب لقبول دعوة جمعية الإصلاح والإرشاد. ومن أكبر الوسائل التي ساعدت جمعية الإرشاد على إزالة البدع والخرافات، ففي قلوب الحضارم لصاحب المنار العلامة السيد محمد رشيد رضا فضل لن يبيد، ولشوقي وحافظ والمنفلوطي فضل عظيم في تثقيف عقول الحضرميين وتقوية ملكة الشعر والنثر فيهم.

أرجو أني أدّيت بعض الواجب في ذكر أحوال إخوانكم الحضرميين وجزء من وطنهم حضرموت، وهو جزء من وطنكم لأن الإسلام يعتبر البلاد الإسلامية وطنًا للمسلم مهما اختلفت المشارب وتنوعت المبادئ وتباعدت الديار.

*****

حضرموت من الناحية الاقتصادية[1]

بقلم : الأستاذ علي أحمد باكثير[2]

يعتقد كثير من الناس أن حضرموت هي الجزء الفقير من البلاد العربية الذي لا يصلح للاستيطان أو الاستقرار، ولذلك نزح عنه أهله وتفرقوا في شتى بلدان العالم حيث تتوفر وسائل المعيشة وطرق الحياة. ومثل هؤلاء الناس لا نستطيع أن نحاسبهم على ما جهلوه عن المركز الاقتصادي لهذه البلاد السعيدة؛ لأن الذي أملي عليهم هذه العقيدة كان غياب الوعي بحقيقة الثروة الاقتصادية لهذه البلاد.

---

(١) نشر في كتيب مستقل باسم "ابن الأحقاف" صدر في القاهرة سنة ١٩٤٩م.

(٢) علي احمد باكثير (١٣٢٨/١٣٨٩هـ - ١٩١٠/١٩٦٩م) أديب، وشاعر، وكاتب مسرحي، ولد بمدينة سورابايا (إندونيسيا) وتلقى بداءة تعليمه بها في مدرسة الإرشاد الحضرمية. وفي سنة ١٣٣٨هـ جاء بمعية والده إلى سيؤن (حضرموت) حيث تابع دراسته أولا على يد عمه الشيخ محمد بن محمد باكثير ثم في مدرسة النهضة بسيؤن، وكان من أبرز طلبتها، وقال أول قصيدة له وهو طالب بهذه المدرسة سنة ١٣٤٢هـ وفي سنة ١٣٤٤هـ تولى إدارة مدرسة النهضة في سيؤن، وفي سنة ١٣٤٩هـ (اول شعبان) أصدر في سيؤن مجلة "التهذيب" الشهرية، وفي سنة ١٣٥١هـ غادر حضرموت بعد وفاة زوجته الأولى إلى عدن ومنها إلى الحجاز فمصر حيث استقر به المقام سنة ١٣٥٢هـ، وكان أحد أعمدة المسرح العربي بمصر ومن أكثر المساهمين في إعلاء صرح الحياة الفكرية في العالم العربي في عصره. بدأ حياته في مصر شاعراً ثم كاتباً مسرحيا، وكتب خمس روايات تاريخية أصبح بها علماً للرواية العربية التاريخية الإسلامية، التمس فيها حوادث من التاريخ الإسلامي، وله أكثر من ستين مسرحية شعرية ونثرية، لم يصدر له ديوان شعر في حياته، وقد عاد إلى وطنه الأصلي بعد استقلاله في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، ثم سافر إلى مصر حيث توفي بالقاهرة في أول رمضان سنة ١٣٨٩هـ/ الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٦٩م. (م . ب . ح)

وليس هناك من ينكر معالم الحضارة الخالدة والمدنية الزاهية التي سطع نورها في غضون التاريخ في الركن الجنوبي من الجزيرة العربية، فأضاء بطاحها وهضابها ردحاً من الزمن بأبهى ما في المدنية من مفاخر وأزهى ما فيها من حسن وفن وجمال.

لقد تعاقبت على الركن الجنوبي من الجزيرة سلسلة من المدنيات الخالدة، أولها مدنية المعينيين ثم تلتها مدنية السبئيين التي أشاد القرآن الكريم بذكر ملكتها الحسناء (بلقيس)، فقحطان فالحميريين، وشهدت حضرموت في غضون هذه الفترة الزاهية عهدًا سعيدًا وحياة زاخرة بمعالم الفن والجمال خلدتها لها الأيام بفضل ما بقي على تربتها الطاهرة من آثار ومعالم خالدة.

ولسنا بصدد التدليل على صحة قيام هذه المدنيات في هذا الركن من الجزيرة، فإن قارئنا الكريم في غنى عن هذا التدليل؛ لكثرة ما كتب وألف عنها في كثير من كتب التاريخ القديمة منها والحديثة، ولكثرة آثارها المعروضة في المتاحف العالمية، وإن ما نقصده بهذه المقدمة هو الرد على من افترى على هذه البلاد جهلاً منه فرماها بالفقر والجدب والقحط. فنقول لمن اعتقد بهذا الرأي: على أي أساس تؤمن بقيام هذه المدنيات الخالدة في هذا الركن من الأرض إذا كان كما تعتقد فقيرًا لا يحتوى على شيء من العوامل الاقتصادية والثروة المادية التي تقوم عليها أركان الحضارة والمدنيات الخالدة؟.

هذا ما أخذناه على أنفسنا أن نشرحه في هذه الرسالة المختصرة وأن نوضحه بطريقة نأمل أن تظهر آثارها الطيبة في العقول المخيم عليها ظلام الجهل بالأحوال الاقتصادية لهذه البلاد السعيدة، والله المستعان.

جغرافية حضرموت الزراعية :

نريد أن نضع أمام القارئ الكريم صورة لجغرافية حضرموت من حيث الموقع والسطح والمناخ، يستعين بها على تلمس العوامل الطبيعية التي جعلت لهذه البلاد قيمة اقتصادية ثمينة.

تقع حضرموت في الجزء الجنوبي من البلاد العربية، تحد من الجنوب بالبحر العربي، وشمالاً بصحراء الأحقاف والربع الخالي، وشرقًا بعمان، وغربًا باليمن. أما السطح فهو عبارة عن سلاسل جبلية تمتد وتتفرع من جبال الساحل الجنوبية إلى الداخل وتتغلغل نحو الشمال ثم تنحدر نحو الجنوب مرة ثانية على شكل قوس أو حدوة حصان، وتضم هذه السلاسل أودية تختلف في العرض والمساحة وتتجمع فيها مياه الأمطار المنحدرة من سفوح الجبال. وتربة هذه الأودية مشبعة بالأملاح المعدنية التي تذوب في بطن مياه الأمطار المنحدرة من الجبال فتكسب تربة الأرض خصوبة وحيوية. وتتدرج هذه الجبال في الارتفاع من الجنوب إلى الشمال، بمعنى أن درجة الارتفاع تكون شديدة في الشمال ثم تتدرج في الانخفاض إلى الجنوب. ولذا نرى السيول تتجه في سيرها من الشمال إلى الجنوب حيث تخزن في بطون الوديان. ولهذا السبب نجد أن الجزء الخصب من حضرموت يقع في الأماكن الجنوبية كوادي حضرموت مثلاً، وهو من

أوسع الوديان وأكثرها زراعة حيث تقوم فيه المزارع وحقول النخيل وتنتشر على جوانبه المدن والقرى، ومن أشهر مدنه: القَطِنْ وشبام وسيون (عاصمة الدولة الكثيرية) وتريم وهي أكبر مدينة في حضرموت.

ويعتمد الفلاح في زراعة أرضه على الآبار الإرتوازية، ومياه الآبار في هذا الوادي قريبة من سطح الأرض للأسباب الطبيعية التي قدمناها غير أن الطريقة التي يتبعها الفلاح في استغلال هذه الآبار طريقة قديمة غير مجدية أو بعبارة أخرى لا تؤدي الخدمة المطلوبة، وهي في الوقت نفسه مضنية تستنفد طاقة الفلاح والحيوان، أما كونها غير مجدية فلأن كمية المياه التي ترفع من الآبار بهذه الطريقة قليلة جدًا لا تكفي لري مساحات كبيرة من الأرض على الرغم من اتساع البقاع الصالحة للزراعة زيادة على ما تستهلكه من قوة الحيوان والفلاح، ولذلك نرى الحيوانات كالبقر والحمير والجمال التي تستخدم في نزح المياه هزيلة وضعيفة البنية، وتكون معرضة للأمراض التي تسبب في بعض الأحيان موتها وهلاكها فتعطل بذلك وسائل الري وتتبعها خسارة فادحة في الأرض المزروعة.

والطريقة الحسنة لرفع المياه من الآبار هي الطريقة الميكانيكية ونقصد بها الأجهزة الميكانيكية «البومبات»، فهي الطريقة الوحيدة التي يمكن تطبيقها في بعض الأماكن بحضرموت والتي يمكن أن تروي أكبر ما يمكن من المساحات الواسعة، فتتسع بذلك دائرة المحاصيل الزراعية وتكثر الغلات وينشط الإنتاج الزراعي.

والظاهرة الطبيعية البارزة في التكوين الجبلي لحضرموت تساعدنا على فهم طريقة أخرى للري أكثر نفعًا من الطرق السالفة وهي نظرية السدود، وكان آباؤنا القدماء قد سبقونا إليها فاستفادوا من طبيعة بلادهم في تخزين المياه وراء جدران السدود وتركوا لنا آثارًا من بقايا السدود التي شيدوها في البقاع والوديان ويمكن تلخيص **نظرية السدود** بما يأتي:

اتجاه الجبال من الجنوب إلى الشمال ثم انحدارها على شكل قوس يجعل المسافة في هذه النقطة بين الجبال ضيقة إلى حد ما، وفي مثل هذه النقطة الضيقة يمكن أن تشيد السدود والحواجز المنيعة لحجز مياه السيول، وتكون لهذه السدود فتحات وأبواب هندسية تفتح وقت الحاجة، وتتصل بفتحات السدود قنوات ومجارٍ تتفرع في بطن الوادي لري الحقول والأراضي المزروعة.

وتوجد في بعض الأماكن أحواض طبيعية كبيرة الاتساع تخزن فيها مياه الأمطار تسمى «القلوت» وتمكث زمنًا طويلاً، ولكنها لاتلبث أن تجف وتنشف بعملية التبخر، وقد تتولد فيها يرقات بعض الحشرات الفتاكة كالبعوض الذي يحمل ميكروب الملاريا. وهذه الأحواض يمكن استغلالها ورفع مياهها بواسطة الآلات الرافعة للمياه أو الشادوف وتحويلها إلى مجارٍ وقنوات تُروى بها الأراضي المزروعة. غير أن هذه الأحواض قد توجد في مناطق جبلية صخرية بعيدة عن الأراضي الزراعية، الأمر الذي يجعل استخدامها ضيق الفائدة. أما ما كان منها قريبًا من الأراضي الزراعية فمن الممكن استخدامها إلى درجة تؤدي المنفعة القصوى من الري.

الأنهار: لاتوجد بحضرموت أنهار تستمد مياهها من منابع غزيرة المياه وذلك للآتي:

١ - **التكوين الطبيعي للجبال الصخرية** الذي يتعذر معه تجمع المياه في بطون الجبال لصغر حجم المسام في الصخور، الأمر الذي لا يسمح للمياه أن تتسرب إلى الفجوات الباطنية.

٢ - **قلة الأمطار**، وعلى الرغم من هذا فإنه توجد في بعض الأماكن عيون تتفجر منها المياه الغزيرة التي يستغلها الأهالي في ري مزارعهم وأراضيهم. غير أن استغلال هذه المياه لم يصل إلى الدرجة المطلوبة؛ لأن كمية المياه متوفرة والكمية المستهلكة منها قليلة جداً لضيق النطاق الزراعي الذي يقوم به الفلاح في تلك الجهات، ويرجع هذا إما إلى قلة الأراضي القابلة للزراعة، أو إلى عدم وجود الأموال الكافية لاستغلال أكبر ما يمكن من الأراضي البور. وأحسن جهة تستغل مياه العيون هي غيل باوزير - بالقرب من المكلا - حيث تقوم فيه زراعة التبغ وبعض الفواكه كالموز وزراعة الغلات.

نهر ميفع: يقع هذا النهر في الحدود الغربية من حضرموت في واد حجر ويطلق عليه سكان هذه المنطقة (الواد)، وأشار البستاني صاحب دائرة المعارف أن فون ريد - سائح ألماني - زار هذه المنطقة سنة ١٨٤٣م وذكر أن أكثر الأراضي محروثة ويوجد نهر صغير قد يكون أحياناً فائضا إلا أنه كثيراً ما يجف، وفي سنة ١٨٧٠م أتى القسم الغربي من حضرموت القبطان ميلس من الجيش الإنجليزي مع وزير مترجم السائح الألماني وذكر

أنه على مسافة ١٠ أميال في الداخل وعلى الأراضي العالية يوجد حجر الإنتراسيت وآثار من النحاس، ثم تكلما عن وادي ميفع «ميفعه» بأنه واقع في أراضٍ رملية كلسية خصبة جداً. وأشار الأستاذ **صلاح البكري** في كتابه «**تاريخ حضرموت السياسي**» إلى وجود هذا النهر، وهو جارٍ طول أيام السنة ويقع في واد حجر، ويمتد هذا النهر من المنبع إلى المصب مسافة ٢٥ ميلاً ويطلق عليه نهر ميفع، وأشار أيضًا الاستاذ البكري إلى أن الأرض المحيطة بهذا النهر خصبة غير أنها خالية من الزراعة وتقوم في بعض المناطق من ضفتيه بساتين النخيل، وسكان هذا الوادي لايميلون إلى الزراعة والاستقرار؛ لتفشي بعض الأمراض الناتجة من ركود المياه في بعض المناطق من النهر في أيام الجفاف أو أيام الفيضان.

والناحية التي تحتاج إلى إصلاح وإرشاد في النشاط الزراعي في حضرموت هي الناحية الفنية والمالية.، فالناحية الفنية تحتاج إلى إصلاح وإرشاد وتوجيه وقد سبق أن شرحنا بعض الأخطاء الفنية التي يتبعها الفلاح الحضرمي في طرق الري، وبينّا الطرق السليمة التي تضمن له النجاح في ري أرضه، وأهمها إنشاء السدود، وهناك أخطاء أخرى يجب أن نشير إليها، منها عملية حرث الأرض وتسويتها وبذر البذور وغيرها.

يسلك الفلاح الحضرمي في عملية حرث الأرض وتسويتها وبذر البذور طرقًا قديمة تقلل من المحصول وتفسد عليه الغلة ويستحسن أن يأخذ بالطرق الحديثة التي هيأها العلم الحديث. وأهم ما في هذه الناحية التي يجب أن نشير إليه هو ضعف مدارك الفلاح وضيق نطاق معرفته بأنواع

المحاصيل الزراعية التي يمكن استغلالها وزراعتها بكمية وافرة في حضرموت كالقطن مثلاً فإن هذا النوع من المحاصيل لا وجود له البتة على الرغم من استعداد الأرض لنموه وزراعته على نطاق واسع وبدرجة جيدة. وقد أخذت عينة من بذور القطن المزروع بقلة في بعض المناطق بحضرموت الى المعهد الزراعي بلندن لفحصها، وقد أظهرت النتيجة أن هذه البذور مشبعة بالمواد الزيتية ويعد قطنها من أجود أصناف القطن، وهو يقرب من فصيلة القطن المصري الذي تقوم عليه صناعة المنسوجات القطنية في مصانع ليفربول ومانشستر بإنجلترا.

وهناك ثروة زراعية ذات قيمة اقتصادية كبيرة أهملها الفلاح الحضرمي وهي تربية الحيوانات ذات الألبان والصوف. وتدر هذه الثروة أرباحاً عظيمة للبلدان التي تعتني بها، وتقوم عليها تجارة رابحة في الأسواق العالمية، وقد برزت في هذه التجارة أمريكا وأستراليا. وإذا بحثنا عن العوامل الطبيعية لقيام هذه الثروة نجدها متوفرة في حضرموت بدرجة مقبولة؛ وذلك لأننا نجد سفوح الجبال وبطون الوديان مكتسية بالأعشاب والنباتات الصالحة لرعي الأغنام والأبقار والإبل، وسكان الجبال والصحراء «البادية» يستغلون هذه المراعي إلى درجة محدودة، وتدعوهم هذه الحالة للتنقل من مكان لآخر حيث تتوفر فيه المراعي لمواشيهم وإبلهم، وهم يملؤون أسواق المدن بقطيع أغنامهم وإبلهم لعرضها للبيع.

الثروة المعدنية :

يتكون الجزء الأعظم من سطح حضرموت من جبال صخرية تكونت

في العصور الجيولوجية القديمة، وليس لدينا من المعلومات الكافية القائمة على دراسة واسعة في الناحية الجيولوجية لحضرموت والتي يمكن أن نعتمد عليها في بحثنا في هذا الصدد، اللهم إلا نبذ صغيرة تجدها في مؤلفات بعض المستشرقين الأوربيين الذين ارتادوا بعض الجهات بحضرموت مثل فاندن مولن **Van den Moulen** في كتابه «حضرموت **Hadramout**» وفريا ستارك في كتابها **The Southern gates of Arabia** وجون فلبي في كتابه **Sheaba,s daughters** وغيرهم.

ونشر الأستاذ **صلاح البكري** في مقدمة كتابه الآنف الذكر تقريراً ضافياً للأستاذ **ليتلل** الذي استقدمه **السلطان عمر القعيطي** من مصر ليقوم بدراسة جيولوجية للأجزاء الساحلية القريبة من عاصمة ملكه - المكلا - ولذلك سمي تقريره «جيولوجيا المكلا» **Geology of Makalla** غير أن هذا البحث كان في منطقة محدودة، لا يمكن أن نتخذ منه أساسا للكلام على الحالة الجيولوجية العامة للقطر كله. وعلى كل حال فإن الأستاذ **ليتلل** أرشدنا إلى وجود بعض المعادن الثمينة كالذهب والفحم في المنطقة الساحلية، وإن كانت الكمية قليلة حسب تقديره الشخصي، ونتمنى أن تقوم دراسات واسعة النطاق في كل الأنحاء من حضرموت للبحث عن الأراضي الغنية بالمعادن الثمينة.

أشار جون فلبي الملقب (**الحاج عبدالله فلبي**) في كتابه **Sheabs,s daughters** إلى قريات الملح في شبوه، وقال إن كمية الملح موجودة بوفرة في هذه المنطقة، ويحمل منه البدو على ظهور جمالهم أكياساً ويبيعونه في

أسواق المدن بحضرموت. وإذا كان هذا صحيحًا فإنه يمكننا أن نستنتج وجود أملاح معدنية أخرى في تلك المنطقة، وذلك لأنها توجد في الغالب مترسبة في بطن طبقات الأرض مختلطة بأملاح معدنية أخرى، وهذا يرجع إلى عملية التبلور **Gaystalisation proeess** التي تحدث في أملاح العناصر المتشابهة. فمثلاً ملح الطعام **Sodium chloride** يتكون من عنصري الصوديوم والكلور، وعنصر الصوديوم داخل مجموعة من العناصر يطلق عليها العناصر القاعدية **Alkaly Group**، ويدخل في هذه المجموعة أيضًا عنصر البوتاسيوم **Potacum** الذي يعمل على تبلور ملح الطعام لقوة الشبه بين العنصرين. إذن فمن المحتمل جدًا أن توجد أملاح البوتاسيوم بجانب أملاح الصوديوم، مثل فوسفات البوتاسيوم وفوسفات الصودا اللذين تقوم عليهما تجارة شيلي بأمريكا الجنوبية التي تستخرج هذه الأملاح بكمية وافرة وتستخدم في السماد الطبيعي للأرض الزراعية وتمون بها كثير من البلدان الزراعية في العالم. ولئن عجز جيلنا الحاضر عن استخراج الثروة المعدنية لهذه البلاد، فإن الأمل معقود على الأجيال القادمة أن تقوم بتفجير ينابيع الثروة الوطنية وتنميتها.

التجـــارة :

يقوم النشاط التجاري في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام على عاملين أساسيين هما: طرق المواصلات، والمنتجات الوطنية سواء كانت صناعية أو زراعية. وكانت وسائل النقل وطرق المواصلات في ذلك الوقت برية أكثر منها بحرية؛ لعدم اطمئنان الناس على أرواحهم وأموالهم في

نقلها عن طريق البحر، فكانت وسائل النقل البري هي الوسائل الوحيدة لربط أجزاء العالم المتمدن بعضها ببعض. والأداة التي تستخدم في النقل هي الحيوان كالجمال والحمير، ولاشك أن للحيوان طاقة محدودة في السير وحمل الأثقال، فهو - والحالة هذه - يحتاج إلى الراحة في فترات معلومة حتى يستطيع أن يجدد قواه ويستعيد نشاطه من وقت لآخر. وكانت الجزيرة العربية في ذلك الوقت حركة نقل مستمرة تصل بين الأجزاء المتحضرة لموقعها الجغرافي المتوسط بين البلدان المتمدنة، فهي تصل بين الشام وبلاد الفرس في الشمال، وبين الشام والهند من الجنوب، فكانت القوافل تقوم من جنوب الجزيرة إلى شمالها محملة بأصناف البضائع والسلع التي كانت ترد من الهند. فالمدن التي تقع على خطوط هذه المواصلات والقوافل يكون نصيبها وافراً من النشاط التجاري، فتقام فيها الأسواق التجارية وتعرض فيها أنواع السلع وأصناف البضائع. وكانت حضرموت لموقعها الجغرافي أقرب جزء من الجزيرة العربية - بعد عمان - إلى قارة الهند، فكانت السفن التي تقوم من سواحل الهند محملة بشتى أصناف السلع تقطع أقرب مسافة من المحيط الهندي لتصل إلى البر سليمة كاملة، وعليه فكانت البضائع الهندية أول ما تمر في طريقها إلى الشام تمر بالموانئ الواقعة على ساحل حضرموت، ثم تحمل على ظهور الإبل إلى اليمن فالحجاز ثم إلى الشام. ولقد نشطت الحركة التجارية في ذلك العصر في المدن الساحلية - كالشحر- نشاطًا تحدث عنه كثير من الكتاب والمؤلفين.

أما المدن الداخلية فلا تقل نشاطًا عن المدن الساحلية وخصوصًا ما يقع منها على خط المواصلات وطريقها، ولقد أشاد بعض الشعراء في العصر الجاهلي بذكر بعض هذه المدن لما تمتاز به من ذكريات جميلة حافلة بالسمر وقول الشعر، كمدينة دمون ومدينة عندل اللتين ذكرهما امرئ القيس بقوله:

كأني لم أسمر بدمون مرة ... ولم أشهد الغارات يومًا بعندل

وقامت فاريا ستارك بزيارة هاتين المدينتين جهة وادي الكسر وذكرت في كتابها الآنف الذكر أنهما يقعان في وادي الكسر. وكانت هاتان المدينتان واقعتين في ملتقى خطوط المواصلات وطرق القوافل التي تتجه في طريقها إلى اليمن فالحجاز ثم إلى الشام.

أما العامل الثاني وهو المنتجات الوطنية فقد قامت عليه تجارة لا تقل أهمية عن العامل الأول فكان مصدر ثروة عظيمة وعاملاً قويًا في حياة التجارة ونشاطها. ونعني بهذه التجارة تجارة البخور. ولئن كان الإنسان في عصرنا الحاضر يميل إلى الروائح العطرية ليشبع بها جزءًا من حاجياته الكمالية وليتمتع بقسط من الرفاهة الحديثة، فإن الإنسان القديم يجد في بخور الند والصمغ ما يقوم بإشباع حاجته من هذه الناحية ويكمل به مظهرًا من مظاهر مدنيته وحضارته الغابرة، وقد رزق الله حضرموت بالمصادر الطبيعية لهذا المحصول فكانت تمون به سكان الشام وبلاد الفرس والهند، وكانت المدن الساحلية تمتاز بهذه التجارة وخصوصًا ظفار؛ وذلك لأن أشجار البخور تكثر في الأجزاء القريبة من الساحل.

ويستخرج البخور والأصماغ من أشجار تتحمل الجفاف والقيظ أيام الصيف، وتتفرع أغصانها من جذع مستدير يتراوح ارتفاعه من متر ونصف إلى مترين، وعندما تمتلئ خلايا الجذع بالصمغ تتفتح قشرته الخارجية على شكل شقوق مستطيلة يسيل منها سائل لبني القوام لزج هو الصمغ، ويتجمع الصمغ تحت الجذع ويكون مختلطًا ببعض التراب والحصى. وفي بعض الجهات يجنى الصمغ بطريقة فنية تشبه طريقة جمع صمغ المطاط، وذلك عندما تقوم النساء بتشريط الجذوع ويعملن قنوات حلزونية حول الجذع يسيل منها الصمغ ويتجمع في علب صغيرة توضع تحت الجذع أو تكون معلقة فيه.

وقبل أن ندخل في الكلام عن التجارة بحضرموت في الوقت الحاضر يحسن بنا أن نقدم للقارئ الكريم كلمة عن الحركة الاقتصادية العالمية وتطورها.

تقوم اليوم في العالم نهضة تجارية وتنافس اقتصادي عظيم المدى تتصارع من أجله الدول والشعوب. وأساس هذه النهضة الاقتصادية هو الرقي الصناعي المطرد، وقد أدى اتساع نطاق الصناعة إلى اتساع حاجة الدول إلى المواد الأولية التي تقوم عليها الصناعة، فنشأت لذلك روابط دولية تتمثل في معاهدات تجارية تضمن لها التبادل في المنافع والمصالح المشتركة. ونشطت النهضة الصناعية في أوربا في القرن الثامن عشر، وكانت الصناعة محدودة النطاق أي أنها كانت للدول الكبرى المعروفة في ذلك الوقت كانجلترا وأسبانيا وإيطاليا، فكانت هذه الدول تمون أجزاء

القارة الأوربية الراكدة التي لم تشترك بعد في هذه النهضة لعدم استعدادها للدخول في الدور الصناعي، غير أن هذه الدول ما فتئت أن لحقت بزميلاتها من الدول الصناعية وأصبحت تنتج ما تحتاجه لنفسها. لذلك فكر رجال الدول الصناعية الكبرى في إيجاد أسواق لتوزيع منتجاتها وسلعها المصنوعة، وفكروا في البحث أيضًا عن مصادر غنية بالمواد الأولية التي تقوم عليها مصانعهم ومعاملهم. فكانت البعوث ترتاد البحار وتجوب أطراف المحيطات للبحث عن الجزر والمناطق الأرضية التي لم تدخلها عوامل المدنية والحضارة، ومن هنا نشأت فكرة الاستعمار. فالجهات التي تقع على طريق هذه البعوث تكون غنيمة سائغة للاستعمار، والقيمة الاقتصادية التي تدفع الدول الاستعمارية إلى احتلال الأراضي والمستعمرات تقوم على أساسين اثنين هما: اتساع أسواقها لامتصاص أكبر ما يمكن من السلع والمنتجات الصناعية، وهذا الأساس يقوم على كثرة السكان وما في هذه الأراضي من مواد أولية لتموين الصناعة بأوربا. والأساس الثاني هو المركز الإستراتيجي للمستعمرات من حيث موقعها الجغرافي وصلاحيته لقيام حماية طرق المواصلات الدولية كمضيق عدن وقناة السويس مثلاً بالنسبة للإمبراطورية البريطانية، فهذه العوامل الأساسية خلقت لأكثر جهات العالم ـ التي لم يكن لها وجود فيما مضى ـ قيمة اقتصادية ثمينة تقوم عليها نهضتها وحضارتها الحاضرة.

وكانت حضرموت تتمتع بمركز جغرافي له أهميته في المواصلات التجارية القديمة بين الهند والشام ـ كما سبق أن شرحنا ـ وسبق أن قلنا إن

المواصلات البحرية كانت غير مأمونة؛ لكثرة الأخطار على السفن الشراعية التي لا تتحمل صدمات الأمواج وعبث العواصف والرياح، غير أن طرق البحر أصبحت اليوم غير مرهوبة، وقد زال خطرها بعد اختراع الأجهزة البخارية الحديثة التي تستعمل في تسيير السفن والبواخر الضخمة، ولذلك خسرت حضرموت مركزها الاقتصادي وحلت محلها عدن في الوقت الحاضر. غير أنني متفائل أن يعود لهذه البلاد مجدها الاقتصادي كنتيجة من نتائج الحركة الاقتصادية المعدنية التي بدأنا نلمس قوتها الهائلة في قلب الجزيرة، وأعني بها ثروة البترول في المملكة العربية السعودية، وهي منطقة قريبة من حضرموت بل أرضها متصلة بمناطق حضرموت المتاخمة لها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى حركة النقل التجاري التي تنمو بازدياد مستمر في المحيط الهندي، وإذا كانت أهمية الساحل العربي الواقع على البحر الأبيض هي قرب هذا الساحل من معاقل الأسطول البريطاني والأمريكي التجاري في هذا البحر، فإن الساحل الجنوبي للجزيرة العربية هو الحلقة التي تتصل بسلسلة المواصلات البحرية في المحيط الهندي وأبرز نشاط هذه الحلقة مدينة عدن. وتحتكر إنجلترا خطوط المواصلات في هذا الجزء.

وكانت إيطاليا إبان سيادتها قد شنت غارة شعواء لمنافسة إنجلترا في السنين الأوائل التي سبقت الحرب الأخيرة، وشرعت تنافسها في الاستيلاء على منفذ يمكنها من الوصول إلى المحيط الهندي عن طريق الساحل الجنوبي للجزيرة العربية. فبثت دعاتها وسماسرتها في حضرموت وعدن لتبسط نفوذها على ميناء في حضرموت لتأسيس قاعدة حربية لها. ولما

شعرت بريطانيا بهذا الخطر بادرت إلى بسط حمايتها على حضرموت بطريقة مباشرة وعقدت بينها وبين سلاطينها معاهدة وضعت حضرموت تحت الحماية البريطانية التابعة لعدن، وبعثت مستشاراً يمثلها لدى سلاطين حضرموت هو المستر إنجرامس. وفي أثناء الحرب الأخيرة (العالمية الثانية) ظهرت لبريطانيا قيمة حضرموت من الناحية الحربية نظراً لقربها من الهند، وكان اليابانيون متغلغلين في شمال الهند وينذرون السلطان البريطاني من وقت لآخر بالاضمحلال، فبادرت بريطانيا لتعزيز الساحل الجنوبي بقوات تمكنها من صد اليابانيين عن مواصلة زحفهم إلى الشرق الأدنى إذا ما فشلت قوات الحلفاء عن صدهم في الهند، وليحتفظوا بقواتهم المنهزمة بخط الرجعة وتركيزها في الساحل الجنوبي من الجزيرة، لذلك أنشأوا عدة مطارات بين المكلا والشحر، وأدخلوا بعض التحسينات على الموانئ ليمكنهم استخدامها لمصالح السفن الحربية.

السكان وهجرتهم إلى الخارج :

لم يقم إحصاء رسمي لعدد سكان حضرموت على وجه الدقة، غير أنه توجد نبذ مبنية على التخمين والتقريب، وعلى كلٍ ففي استطاعتنا أن نأخذ أقرب رقم إلى وجه الصحة وهو لا يتجاوز ٥٠٠ ألف نسمة (سنة ١٩٤٩م).

ويرجع سكان حضرموت إلى شعوب وأمم عريقة في القدم استوطنت هذا الجزء من الجزيرة العربية منذ القرون الأولى للتاريخ، ومن هذه الشعوب تفرعت شعوب وسكان بعض البلدان الشمالية للجزيرة كما دل

على ذلك البحث الحديث لبعض الكتاب الغربيين الذين ارتادوا هذه البقاع، فالبابليون الذين سكنوا العراق أحقاباً من الزمن وأنشأوا فيها حضارة خالدة كانوا من القبائل المتدينة التي تقطن فيما مضى جنوب الجزيرة ثم نزحت عنها إلى الشمال لأسباب يطول شرحها، والآثار التي تدل على ذلك كثيرة، منها العملة، فقد عثر بعض الرحالة الأجانب الذين ارتادوا حضرموت على نقود معدنية لاتختلف عن النقود البابلية سواء من حيث الشكل أو النقش أو المعدن. أما قبائل كندة وغيرها من القبائل اليمنية التي هاجرت إلى نجد والحجاز فأمر هجرتها لايحتمل الشك والريبة في صحته لما دونته كتب التاريخ ودلت عليه البحوث القديمة والحديثة.

والذي نريد أن يخرج به القارئ من هذا البحث هو أن المناطق الجنوبية للجزيرة العربية كانت تمون الأطراف الشمالية للجزيرة بثروة من السكان كان لها أثر ملموس في تاريخ نهضتها ومدنيتها الغابرة.

وقد بدأت هجرة سكان حضرموت منذ العهود القديمة ونشطت في العصور الإسلامية ولايزال بابها مفتوحاً وفي حركة مستمرة إلى الآن. فالحجاز وشرق أفريقيا والهند وإندونيسيا تزخر مدنها وعواصمها بأبناء حضرموت المهاجرين الذين ويمتازون بنشاطهم وتفوقهم في الأعمال التجارية، واستيلائهم على معاقل الأسواق التجارية في تلك البلدان. ولا غرابة إذا قلنا أنهم (الدينامو) التجاري الذي يمد الحركة التجارية في هذه البلدان بنشاط منقطع النظير. وقد استفادت بلدان المهاجر من هجرة الحضارم إليها بفضل ما جبلوا عليه من نشاط وحبهم للعمل ومساهمتهم

في إنعاش الحركة الاقتصادية إلى درجة يقصر عن الوصول إليها أبناء البلاد أنفسهم، علاوة على ما اشتهروا به من حسن السلوك واستقامة الخلق والأمانة في المعاملة وعزة النفس، الأمر الذي خلق في نفوس مواطنيهم احترامهم وتقديرهم والإعجاب بهم، وقد يرجع تفوق أبناء حضرموت في التجارة إلى عامل تاريخي وهو أنهم ورثوا هذا النشاط والمهنة التجارية عن أسلافهم منذ القدم، فقد أشرنا سابقًا إلى أن حضرموت كانت معقلاً تجاريًا هامًا لبضائع الهند وحرائره تموّن بها بلاد الشام.

وقد ذكر ابن بطوطة في رحلاته إلى الشرق في القرن السادس الهجري مدينة عدن وقال إنها كانت ميدان صراع عنيف في التجارة بين الحضارمة والهنود، وكان مرفؤها غاصًا دائمًا بالسفن التجارية المحملة بشتى أصناف السلع والبضائع.

وفي القرن الثامن عشر للميلاد اتسع نطاق الهجرة إلى أطراف المحيط الهندي، وكانت البعوث الأوروبية التي تأتي إلى الشرق عن طريق الرجاء الصالح تستعين ببعض البحارة العرب المرابطين بسفنهم الشراعية على ضفة الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، فنشطت بذلك هجرة الحضارمة إلى الشرق الأقصى حيث ترقد في ركن هادئ من المحيط الهندي جزائر إندونيسيا الجميلة في حلة زاهية من جمال الطبيعة تحتضن في حجرها خزائن النعيم وخيرات الثروة الباذخة، فلم يمضِ على هجرتهم وقت طويل حتى تفجرت ينابيع الثروة من تحت أقدامهم وامتلأت جيوبهم وحقائبهم بخزائن المال وأصبحوا يرفلون في حلل من النعيم، فطابت لهم الإقامة

واستعذبوا رحيق الحياة بين ربوع النعيم في الفردوس الخالد.

أما هجرة الحضارمة إلى الهند وشرق أفريقيا وزنجبار فكانت أسبق من هجرتهم إلى إندونيسيا، وقد نجحوا في أعمالهم التجارية بدرجة لاتقل عن نجاح إخوانهم في إندونيسيا على الرغم من الفروق الكبيرة بين العوامل الاقتصادية والثروة الطبيعية التي تتمتع بها جزائر إندونيسيا وتقل في المهاجر الأخرى.

والذي نلاحظ في تجارتنا بالمهاجر هو النوع البدائي من التجارة أي تجارة القطاعي، فتجارنا يعملون في المهجر كوسطاء بين المنتج والمستهلك. أما تجارة الجملة **Wholesale** فلا وجود لها بين تجارتنا في المهجر مع أنها تجارة تدر أكبر ربح من تجارة القطاعي **Retail** وكذلك لاتجد من يتعاطى تجارة الاستيراد والتصدير **Import-Export,** خصوصًا تجارنا بإندونيسيا إلا عددًا بسيطًا منهم. وأما تجارنا في عدن والحجاز فإن أكبر بيوتاتهم التجارية تقوم بأعمال التصدير والاستيراد (ونقصد بأعمال التصدير هنا عمليات الترنسيت) إلى درجة مرضية.

وقد برز أخيرًا في الإنتاج الصناعي للسلع الاستهلاكية **Manufacture** عدد غير قليل من مهاجرينا بإندونيسيا وطرقوا أبوابًا مختلفة في الصناعة الاستهلاكية كصناعة النسيج والزجاج وتعبئة الشاي وغيرها من الصناعات الزراعية، غير أن رؤوس الأموال التي تستخدم في هذا الميدان تكاد تكون ضئيلة ومحدودة لاتمثل الشركات المساهمة التي تقوم على أساس التبرعات من أرباب الأموال والمستثمرين.

التطورات الحديثة.. السياسية والاقتصادية في حضرموت

تخضع حضرموت منذ القرن التاسع عشر لسلاطين يافع وآل كثير، وكانت فترة حكمهم سلسلة من القلاقل والفتن بين قبائل يافع وقبائل آل كثير لايعدو أن يكون مصدرها النزعة القبلية الجاهلية المحضة في صور الدفاع أو الذود عن كيان الملك والحكم. وقد أنشأت يافع حكومة عاصمتها المكلا وهي الحكومة القعيطية التي تمتد حدودها على موانئ الساحل إلى وادي دوعن في الداخل. أما آل كثير فقد قامت حكومتهم قبل الحكومة القعيطية بقرون ولم يبق لها الآن إلا الجزء الواقع على امتداد وادي حضرموت في الداخل وعاصمتها سيون.

وكان نفوذ الحكومتين لايتعدى أسوار المدن التي يقيم فيها السلاطين أو من ينوب عنهم من الحكام، أما ما عدا ذلك من الضواحي والجبال والوديان فكان مسرحًا لحوادث القتل والنهب بين أفراد القبائل من حملة السلاح. وكانت عين السياسة البريطانية في عدن تغض بصرها عن هذه المذابح ولاتعيرها التفاتًا على الرغم من وجود التزامات ومعاهدات بينها وبين سلاطين حضرموت فيما يختص بحفظ الأمن والاستقرار بين ربوع الأهالي والسكان؛ وذلك لأنها كانت لا ترى في هذه الحوادث ما يسبب قلقها ويهدد سلامة مواصلاتها المرتبطة بمحميتها عدن لبعد مراكز هذه القلاقل عنها.

وظلت حضرموت على هذه الحالة مدة طويلة حتى سنة ١٩٣٦م حيث بعثت الحكومة البريطانية المستر إنجرامس إلى حضرموت ليمثلها لدى الحكومتين القعيطية والكثيرية كضابط سياسي يتعاون مع السلاطين في

إصلاح شؤون الأمن وتنظيم المرافق الإدارية والأمن العام.

وقد لاقى المستر إنجرامس صعوبات جمة في سبيل مهمته، كما لاقى مقاومة عنيفة ومعارضة شديدة من أبناء القبائل الذين يستعذبون إراقة الدماء ويستحلون قتل النفوس البريئة. غير أنه استطاع بعد جهد أن يقضي على أسباب الفوضى بما قام به من وسائل العنف والشدة واستخدامه سلاح الطيران في ضرب القبائل الثائرة بالقنابل والقذائف المحرقة، فخضعت له القبائل واستسلمت لسلطان القوة وأذعنت للعهد الجديد.

وعلى الرغم من نجاح العمليات الإرهابية التي قام بها عمال الحكومة البريطانية لإصلاح حالة الأمن في حضرموت، فإنهم لم يوفقوا في إصلاح الحالة الاقتصادية والاجتماعية والصحة العامة. وقد حاولوا بعد انتهاء العمليات الإرهابية أن يقوموا بتنفيذ بعض المشروعات الاقتصادية كبناء السدود وإقراض الفلاحين وإرشادهم للطرق الزراعية الحديثة وإنشاء خطوط للمواصلات بين الساحل والداخل ولكنهم فشلوا في كل أعمالهم ولم يوفقوا في شيء من ذلك، ويرجع ذلك إلى سوء الإدارة التي تشرف على المرافق العامة وجهلها بفنون الإدارة الصحيحة. فالحكومة القعيطية مثلاً تتحكم في الموانئ، وتجبي الضرائب وتستأثر بحصيلة الجمارك دون أن يكون للحكومة الكثيرية نصيب من ذلك، مع أن أغلب البضائع التي ترد إلى هذه الموانئ ترد باسم تجار الحكومة الكثيرية في الداخل، فليس للحكومة القعيطية ـ والحالة هذه ـ حق على هذه البضائع عدا ضريبة الترانسيت كما هو المعتاد، ولكن الحالة خلاف ذلك، فهي تأخذ ضريبة جمركية كاملة على هذه البضائع، وتأخذ الحكومة الكثيرية بدورها ضريبة

جمركية أخرى بحكم الضرورة لعدم وجود مصدر لإيرادها ودخلها غير هذا المصدر. فترتفع بذلك الأسعار في الداخل ارتفاعًا فاحشًا، الأمر الذي نشأ عنه حدوث مجاعة بين سكان المناطق الداخلية لحضرموت، علاوة على فتور الزراعة وركودها في السنين الأخيرة بسبب قلة الأمطار وجفاف الآبار.

وحاول موظفو بريطانيا في حضرموت معالجة الحالة وإصلاحها، فوضعوا مشروعًا لتوحيد الإدارة وإقامة اتحاد بين الحكومتين **Federal** يتمثل في إنشاء مجلس تشريعي يمثل أعيان الدولتين، وهيئة تنفيذية يتولاها سلاطين الحكومتين كلٍ في دائرة نفوذه، غير أن هذا المشروع باء بالفشل؛ لعدم توفر الشروط والعناصر العملية فيه، وافتقاره إلى التمهيدات الأولية لتقوية العلاقة الاقتصادية بين الحكومتين وإزالة الضغائن والأحقاد المترسبة في النفوس من جراء الحوادث والقلاقل القديمة بين الدولتين.

وظهرت أخيراً فكرة مشروع اتحاد من نوع أوسع ترمي إلى توحيد إداري عام لعموم المحميات الواقعة تحت النفوذ البريطاني في الركن الجنوبي للجزيرة العربية. ويدعو لهذه الفكرة عظمة سلطان لحج الأمير علي بن عبدالكريم الفضلي، ونحن لا نستطيع أن نعترض على فكرة هذا المشروع أو نؤيدها في الوقت الحالي (١٩٤٩م) قبل أن ندرس النواحي العملية منه والوضع السياسي والاقتصادي لكل بلاد المحميات وعلاقة بعضها ببعض. غير أننا نتمنى أن يكلل هذا المشروع بالنجاح وأن تتحقق وحدة أبناء الجنوب من سلالة حمير وقحطان ليستعيدوا مجد حضارتهم السالف وعز مدنيتهم الغابر.

الثروة الاقتصادية في حضرموت [١]

للأستاذ أحمد طه السنوسي [٢]

حضرموت بلد عربي معروف بتاريخه القديم الحافل، يقع في جنوب شبه جزيرة العرب، ولقد أدت أحوال البيئة فيه إلى رحيل أهله واستيطانهم بلاداً بعيدة في الشرق الأقصى، كما دفعت هذه الأحوال الحضارم أيضًا إلى الاشتغال بحرفة التجارة والملاحة وخاصة في مياه المحيط الهندي.

وتتلخص أحوال البيئة بحضرموت في أمرين هما: الجفاف والحرارة، وهذان عاملان هامان من عوامل الجغرافية التي كانت الدافع الأول لهجرة الحضارمة إلى خارج أرضهم ووطنهم، فمنهم من هاجر إلى الهند ومنهم من استقر في إندونيسيا، ولهم في هذا البلد أثر كبير في حياته الأدبية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، كما لا ننسى أن جماعات منهم نزحت إلى شرقي أفريقيا وإلى مصر وإلى الأندلس أيضًا.

يقول الأمير شكيب أرسلان في إحدى تعقيباته في كتابه **«حاضر العالم الإسلامي»** عن حيدر آباد الدكن: **«وهنالك جيش عدده ٣٠ ألفًا أكثره عرب من حضرموت»** ويذهب في الحديث عن مسألة الحضارمة إلى القول بأنه من المعلوم: **«كون أهل حضرموت من أقدم أهل الأرض على الأسفار،**

---

(١) مجلة "الكتاب" عدد نوفمبر ١٩٥٠م، القاهرة.

(٢) أحمد طه السنوسي: ذكر عنه الأستاذ حماد السالمي في كتابه (السعوديون في "الرسالة") أنه من أبناء جنوب جزيرة العرب، ولم تتوفر بين أيدينا معلومات عنه أكثر من ذلك. (م . ب . ح)

وأن فقر بلادهم مع مضاء عزيمتهم بحملانهم على جوب الآفاق، وأكثر ما ينتشرون في جزائر الجاوي والبحر المحيط»، ويذهب صاحب كتاب «حضرموت والمستعمرات العربية في الأرخبيل الهندي»، وهو فان دربرغ، إلى أن الحضارمة أرفع شأوا في مدنيتهم من تلك الأقطار الشرقية الأسيوية، وقد دعاهم ذلك إلى الاحتفاظ بمكانتهم التي ما زالت ذات مركز مرموق في تلك البلاد. ويقول إن هذه المكانة قد تلاءمت فيها مبادئ خلقية سليمة مع نزعة تجارية ومسحة من الرزانة والنشاط والجرأة التي أملاها على نفوسهم وركزها في أفئدتهم واجب السفر ونزعة الاغتراب.

ولكن الأحوال المناخية القاسية لاتطوح بالثروة الاقتصادية في هذا البلد ذي الثروات المعدنية والزراعية، لذلك وجب أن نعطي فكرة كافية عن هذه النواحي الاقتصادية في هذا القطر الهام في جنوب شبه الجزيرة بل في الشرق العربي بأكمله.

جاء في تقرير كتبه عالم الجيولوجيا الأستاذ أ. هـ. ليتل O.H. Little سماه Geology of Makalla أي (جيولوجيا المكلا) أنه يوجد في حضرموت معادن ثمينة، ذكر منها الذهب والفحم، وذلك في منطقة السواحل الحضرمية. والأستاذ ليتل هذا هو الباحث الذي استقدمه سلطان حضرموت السابق عمر القعيطي من مصر في عام ١٩١٩م، كي يدرس الأجزاء الساحلية القريبة من المكلا عاصمة حضرموت من الناحية الجيولوجية، ولكي يعمل مساحة تفصيلية للمنطقة التي بين المكلا وحجر، وليقوم بالبحث عن المعادن في هذه المنطقة.

ويوجد الملح بكثرة في منطقة شَبْوَه (منطقة البترول الحديثة)، وقد ذهب إلى ذلك السيد جون فلبي في كتابه المسمى Sheaba,s daughers، ويستنتج أحد أبناء حضرموت من ذلك وجود أملاح معدنية أخرى في تلك المنطقة، ويقول: «وذلك لأن الأملاح المعدنية توجد في الغالب مترسبة في بطن طبقات الأرض مختلطة بأملاح معدنية أخرى، وهذا يرجع إلى عملية التبلور Crystalisation process التي تحدث في أملاح العناصر المتشابهة، فمثلاً ملح الطعام Sodium chloride يتكون من عنصري الصوديوم والكلور، وعنصر الصوديوم داخل في مجموعة من العناصر يطلق عليها العناصر القاعدية (Alkaly group) ويدخل في هذه المجموعة أيضًا عنصر البوتاسيوم الذي يعمل على تبلور ملح الطعام لقوة الشبه بين العنصرين، إذن فمن المحتمل جدًا أن توجد أملاح البوتاسيوم بجانب أملاح الصوديوم، مثل فوسفات البوتاسيوم وفوسفات الصودا اللذين تقوم عليهما تجارة شيلي بأمريكا الجنوبية التي تستخرج هذه الأملاح بكمية وافرة وتستخدمها في السماد الطبيعي للأرض الزراعية وتمون بها كثيرًا من البلدان الزراعية في العالم».

ولقد كشف البترول في «شبوه» في الأيام الأخيرة، وشبوه هذه في حضرموت بلد فقير تقع على خط عرض ١٥,٥ درجة وعلى خط طول ٤٧ درجة، ويذهب المستر **هارولد إنجرامس** Ingrams في كتابه Arabia and the Isles أي **(بلاد العرب والجزائر)** إلى أن شبوه لها أهمية محلية خاصة بنجم الفحم الذي يوجد فيها، كما يذهب إلى أن «شبام» قد تغلبت

أهميتها على أهمية شبوه نظرًا لركود الحياة في هذه الأخيرة. وأهمية شبوه كانت تتوقف إلى حد بعيد على أهمية التوزيع التجاري، ولكن هذه الأهمية فقدت حينما انتقل مركز التوزيع التجاري إلى طريق البحر، على أننا نجد أن شبوه قد خلت من الحركة التجارية تمامًا في هذه الأيام الحاضرة، ويذهب المستر إنجرامس إلى أن السبب في ترحال الأهالي من شبوه إلى غيرها من البلدان كشبام هو الرمال الغازية ثم لتدهور الحركة الاقتصادية فيها. على أن تاريخ شبوه تاريخ كبير إذا ما علمنا أنها تقع في شرق «مأرب» وفيه سد مأرب العجيب الذي يدور حوله محور تاريخ كبير كما يدور حول البلد الذي قام بين ظهرانيه. أما من جهة الطريق البرية، فقد كان لشبوه شهرة كبيرة بسبب طريق للقوافل فيها، وهو ذلك الذي ذكرته المس فريا ستارك Miss Freya Stark في بعض كتبها الضخمة التي كتبتها عن حضرموت. فإذا علمنا كل هذا وعلمنا أيضًا أن البلدان والمدن والقرى التي تحف بشبوه فقيرة في أحوالها الاقتصادية والاجتماعية، أدركنا أن شبوه ستكون لها الأهمية الكبرى واليد الطولى في تحويل جزء كبير من جنوب شبه الجزيرة إلى جنة زاهرة بفضل بترولها . كما لاننسى أن نذكر أن (شركة شل) قد حصلت منذ ما يربو على عشرة أعوام على امتياز للبحث والتنقيب في حضرموت. وقد استطاع المنقبون أن يكشفوا آبارًا للبترول في المنطقة الشرقية التي تقع بين حدود حضرموت القعيطية وبين بلاد المهرة[1].

(١) عن مقالنا (البترول والشرق العربي) بالعدد الصادر في ١٩ يونيو ١٩٥٠ في (الثقافة) الغراء.

وحضرموت من أكبر البلاد التجارية القديمة، ويذهب المسير جيان Mr. Guillain في كتابه المسمى Doeuments sur L. Histoirela Geographie etle Commeroe de l Afrique orientale إلى أن العرب قد أمسكوا بزمام التجارة البحرية منذ قديم الزمان وخاصة في الشرق، ولم تكن توجد غير سفنهم تجوب المحيط الهندي، وهذا على وجه الخصوص فيما بين حضرموت والهند. والهند هذه هي التي لهم فيها جالية لا بأس بها قرب نهر السند. ويقول الأستاذ جيان: إن الإسكندر المقدوني كان قد بعث بالقائد نيارك لكشف بحر الهند. فوجد في سواحل جدروزيا بعض الآثار الهامة التي دلت على النفوذ العربي، ولاشك أن هذا النفوذ أتى من المدن الحضرمية والأساطيل الحضرمية أيضًا[1].

ويقول الدكتور **عبدالوهاب عزام بك**: إن «أهل اليمن وحضرموت والشحر هم تجار العرب وأولو السفر والاغتراب منذ العصور الأولى، وهم الذين نشروا اللغة العربية والإسلام في سواحل إفريقية الشرقية وجزائر بحر العرب، وعربوا كثيرًا من أقطارها منذ عصور بعيدة، وكانوا صلة بينها وبين الجزيرة العربية»[2].

وتجارة حضرموت كانت في القديم تقوم على أساس المنتوجات التي تنتجها، ومنها البخور، وكانت تجارته رائجة ولها أهمية عظيمة؛ وذلك لأنه إن عُدَّ اليوم من الكماليات، فقد كاد يكون في الماضي من

(١) عن كتاب (تاريخ حضرموت السياسي) لصديقنا العلامة الأستاذ صلاح البكري.

(٢) عن كتيب (مهد العرب) للدكتور عبدالوهاب عزام بك، نشر في سلسلة «اقرأ».

الضروريات، وقد مونّت حضرموت به أهالي الشام وإيران والهند، والملحوظ أن أشجار البخور في حضرموت توجد في المناطق الساحلية خصوصا في منطقة «ظفار»، كما لا ننسى أن نذكر إلى جوار البخور تجارة الصمغ في حضرموت.

وقد وهن مركز حضرموت الاقتصادي نظراً لارتفاع مركز عدن الجزء الحي في جنوب الجزيرة، وذلك يرجع إلى أن المواصلات البحرية الحضرمية كانت غير مأمونة؛ وذلك للأخطار الموجية ولأخطار العواصف والرياح التي تعرضت لها السفن الشراعية، بيد أن الأمر يختلف اليوم عنه بالأمس بعد أن ابتكرت الأجهزة البخارية الحديثة التي تسير السفن، كما نذهب إلى أن الثروة المعدنية البترولية التي ظهرت في حضرموت سيكون لها أكبر الأثر في رقي التجارة في حضرموت، وفي استرجاع هذا القطر العربي مكانته التجارية القديمة.

أما من الناحية الزراعية فحضرموت تنتج الحنطة والصبر والتمر والتبغ الحمومي وغير ذلك، ولقد جاء في كتاب **«تاريخ حضرموت السياسي»** في معرض الحديث عن الزراعة في عهد الحميريين أنهم «كانوا يبنون السدود الفخمة لحجز مياه الأمطار، ولها فتحات يخرج منها الماء فينساب في ترع منظمة ويغمر المرتفعات من الأرض والمنخفضات منها، فكانت حضرموت كلها بساتين غناء ومروجًا خضراء وغياضًا فيحاء، فيها الأغراس من الأشجار والرياحين والحنطة والفواكه كالأعناب والخوخ والكمثرى والبرقوق والأجاص والتفاح واللوز والجوز والسفرجل والرمان وغير ذلك»

ويقول الأستاذ صلاح البكري في كتابه **«في جنوب الجزيرة العربية»**:

«إن حضرموت مناطق من الأرض واسعة صالحة للاستنبات والزرع، وبعضها خصبة كإقليم ميفع الذي يرويه نهر حجر ومنطقة غيل باوزير ورخيه وجميع الأراضي الواقعة بين الباطنة ودمون حيث الماء قريب من سطح الأرض. والأرض هنا تتكون من الطمي والغرين، ومن السهل استخدام الآلات النازحة للماء».

«ورمال الصحراء في المناطق الساحلية رمال بيضاء تحتوي على مادة الجير، وهي لذلك أقدر احتباسًا لمياه الأمطار. وتتسرب مياه الأمطار في هذه الرمال ثم تتجمع فوق أول طبقة صماء، ولما كانت الأمطار عذبة وأخف من ماء البحر المالح، فإن هذه المياه تعلو المياه التي تتسرب من البحر في العادة، غير أنه إذا اشتد السحب منها زادت ملوحتها بسبب تغلب مياه البحر المالح على مياه الأمطار المخزونة».

وأما من الناحية الصناعية، فلدى الحضارمة صناعات أولية سترقى مع الأيام، وفي الأيام السالفة كانت للحميريين مهارة عجيبة في النسج وخاصة في الشحر التي كانت أكبر مركز لمعامله، كما لهم نفس هذه المهارة في صناعة الحلى الجميلة وزخرف الآنية وتجهيز الروائح المنعشة وتحضير البخور وصناعة الأثاث، كما عملوا في جني عيدان الدارصيني واللادن، وساهموا بنصيب لا بأس به في جني القرفة وغيرها.

ويهتم التجار الحضارم في المهاجر التي يذهبون إليها بتجارة القطاعي، فلا يتجرون في الجملة ولايتعاطون تجارة الاستيراد والتصدير إلا في عدن

حيث وصلوا بهذه التجارة إلى ذروة عالية، وقد نجح كثير من الحضارم في القطر الإندونيسي في الانغمار في الصناعة والإنتاج فيها، فاستطاعوا النسج وصنع الزجاج، كما عبئوا الشاي وغير ذلك من الصناعات وخاصة الزراعية، ولكن مركز الحضارم الاقتصادي في إندونيسيا لم يماثل بعد مركز الأجانب من الأوروبيين في ذلك البلد.

*****

الأسماك في الشواطئ الحضرمية[١]

للأستاذ علي عبود العلوي [٢]

تمهيد:

لاشك أن وجود الأسماك بكثرة في الشواطئ الحضرمية هو الحافز الأعظم لبعض مفكري الحضارمة في السعي وراء تأسيس شركة تجارية بمهجر الحضارمة (جاوة) من غايتها استغلال الثروة الوطنية وتنميتها بإنشاء مصنع لحفظ الأسماك في العلب وتصديرها فيما بعد إلى الخارج.

ولا غرو أن يهتم بالسفر إلى ميناء حضرموت (المكلا) رئيس الشركة السيد علي بن شهاب لدرس ما يقتضيه المشروع ورفع تقرير لأعضاء الشركة. غير أن المشروع أخفق في مسعاه ولا أعرف بالضبط ما هي الأسباب الموجبة لذلك.

وتاريخ هذه الخطوة التفكيرية الأولى يرجع إلى أثناء الحرب الماضية حرب (١٩١٤م) على ما أذكر (في جريدة الأقبال التي كانت تصدر

(١) مجلة الرسالة، الأعداد ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٩٠، ٢٦/أغسطس/٩سبتمبر، ٢٣ سبتمبر ١٩٤٦م، القاهرة.

(٢) علي عبود العلوي: ويدعى علي عبود باعبود ولد وتلقى تعليمه الأولى في بلدة بور بحضرموت، اشتغل بالتجارة وتردد على المهجر الشرقي، وأقام فترة طويلة في مصر وتعلم في الأزهر، له عدة مؤلفات مخطوطة، وربما بعضها مطبوع، كتب في العديد من الصحف والمجلات المصرية، وعاد إلى حضرموت في أخريات سنين حياته وتوفي قبيل الاستقلال أو بعده بقليل، وهذا ما توفر لدينا من معلومات عنه. (م . ب . ح)

(بسربايا) جاوة ـ إشارة إلى هذا الخبر، وهي لا تحضرني الآن).

ولئن أخفق هذا المشروع فإنه لم يقض على الفكرة اصلاً. وغاية ما في الأمر أنها تنبعث مرة وتخفت أخرى حتى دبً إلى النفوس خبر انعقاد مؤتمر الإصلاح الحضرمي المنعقد بسنغافورا في سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م فانبعثت الفكرة مرة أخرى، ولكن في صورة واسعة النطاق. إذ وافق المؤتمر على تأسيس شركة تجارية حضرمية برأس مال كبير من غايتها استغلال الثروة الوطنية، ورشح لهذا القرار لجنة تتألف من أغنياء الحضارمة وسراتهم برئاسة الثري الشهير السيد **عبدالرحمن بن شيخ الكاف**. غير أن مقررات المؤتمر قضي عليها بجرة قلم، ولم تكن هي من نصيب بحثنا لنوليها مزيداً من البحث والتعليل والتدليل.

ودليل آخر أضيفه إلى ما سبق أن أشرت إليه، فقد حدثت بعد عودتي إلى الوطن من الكنانة في ١١/٨/١٩٤٢م من رحلتي التي استنفدت من العمر زهاء خمس عشرة سنة أن عظمة **السلطان صالح بن غالب القعيطي** معتزم إنشاء حوض كبير لتربية الأسماك والاستفادة منها علميًا.

فمتى يتحف عظمة السلطان شعبه الحضرمي بهذه المكرمة الجليلة التي لم تكن إلا إحدى مكارمه؟ فعسى أن يكون ذلك قريبًا.

معجم للأسماك :

واغتنمت فرصة وجودي في (المكلا) للتعرف إلى أبناء الثغر الحضرمي، وقد لقيت منهم تأهيلاً كبيرًا، وممن تحدثت معه عن وضع

معجم للأسماك الأستاذ **عبدالله الناخبي**[1] فهش للفكرة وقال: إن نفس هذه الفكرة قد سبق أن أوحى بها إليه **عظمة السلطان صالح القعيطي**، ومن أجل ذلك فإنه دائب في البحث، وأنه قد كتب مذكرة عن الأسماك تضم زهاء مائتين وخمسين اسمًا.

ولا ازال أرجو من الأستاذ الناخبي أن يجدّ في البحث لكي يتحف العالم العربي بثمرات أبحاثه.

غير أني أخشى أن تقعد بالأستاذ الناخبي أعماله المدرسية وشواغله اليومية. فقد اتضح لي أنه طيلة المدة التي قضيتها في حضرموت ـ وهي سنة وثلاثة أشهر ـ لم يقدر له أن يواصل البحث الذي سبق أن حدثني عنه بشيء يذكر.

وقبل أن نتجه إلى الغاية المقصودة يجدر بنا الإشارة إلى أن للسيد الشاعر **عبدالرحمن بن محمد بن شهاب الدين العلوي** المتوفى في حدود سنة ١٢٧٠هـ قصيدة طويلة ضمنها أسماء الأسماك الموجودة بالشط الحضرمي، ولم تقع هذه القصيدة تحت نظري وإنما حُدثت عنها، وهي مشهورة بحضرموت وموجودة منها نسخ في مهجر الحضارمة جاوة، ولن تخلو منها مكاتب حضرموت، ولاشك أنها من محفوظات خزانة حفيده السيد الجليل **عبدالرحمن بن عبدالله بن شهاب** في مدينة تريم (الغناء).

---

(١) الشيخ عبدالله الناجي: مؤرخ وباحث وأحد رواد النهضة التعليمية في حضرموت القعيطية، في العقد العاشر من عمره المديد إن شاء الله، يقيم حالياً في جدة، وقد اتصلت به فأبلغني أنه أعار الأستاذ عبود العلوي ذلك المعجم الذي أعده ليستفيد منه ولم يتسلمه منه بسبب عودة الأخير إلى مصر وانقطاع الاتصالات. (م . ب . ح)

فهل يتحف بها «الرسالة» الغراء أحد أدباء القطر الحضرمي؟

ومما وقع تحت نظري له وأنا في سن المراهقة قصيدته المشهورة التي وصف فيها المرأة وخصَّها بالمفاضلة ما بين البيض والسمر والخضر والسود.

فيا هل ترى وصف لنا الصهب والزرق إلى غير ذلك؟ لا أدري فذلك عهد طال به العهد ولم يبق عالقًا ببالي منه شيء.

ومن قصائده المشهورة في المفاضلة قصيدته التي خصها بالنخل، ويقال إنه ذكر فيها زهاء مائتين وخمسين اسماً من أسماء النخيل الموجودة بحضرموت.

ومما علق بذاكرتي منها قوله يصف نوعًا من النخل يسمى باليتيمة:

وعَاذْ تمر اليتيمة، يُعجبك خُزْعُهْ وصيمه تَقْدُوم لأهلِ التّفخَار

(ماشي كما التمر في الدارا)

(الألفاظ: عاذْ بمعنى بقى. والخزْعُ من التمر: ما أخرج نواه. الصيّمْ: هو ما أخرج نواه أيضاً، وهُرس بالأرجل كما هو معروف في حضرموتُ. أهل التّفخار: هم الضيوف الذين يفدون على بيوت الكرم ممن يفخر بهم).

وأكثر أشعار هذا السيد (حُمَيْنِيَّة) أي أنه لم يلتزم فيها قواعد الإعراب ولها عروضها الخاصة لأنها تتابع الأنغام.

وهذا السيد هو والد الشاعر الكبير شيخ النهضة الحضرمية أبوبكر بن شهاب.

وأخيرا أتاحت لي الفرص التعرف على أسماء جانب من الأسماك

وذلك بفضل الرحلة الشاقة التي دفعت ثمنها بالمخاطرة الروحية.

إذ أقلتني من ميناء حضرموت (المكلاَّ) إلى (جدة) ساعية شراعية. حقًا إن هذه الرحلة شاقة مضنية ولكنها تذكرنا بآثار آبائنا الصِّيد الذين كانوا يخترقون البحار بمراكبهم الشراعية، وكانت لهم السيادة البحرية إذ ذاك.

وكانت بواخرهم تقلع من موانئ حضرموت إلى أقاصي الشرق الأقصى، ولهم في هذا الميدان تاريخ عظيم القدر مشهور بمكانته العظيمة، ولهم مع البرتغال مواقف مشهورة ليس هذا موضع الحديث عنها.

وكان علماؤهم لايدعون الأوقات تمر عليهم سدى، فكانوا يحصلون العلم وهم في أثناء سفرهم الذي يمتد بهم إلى أكثر من ستة أشهر إلى أن يصلوا إلى الموانئ الشرقية بجزر الملايو وجاوة.

وفوق هذا فقد كانوا يقضون على السآمة التي تعقب مثل هذه الرحلات الشاقة بما يتفرغون له من دروس علمية أثناء سيرهم واستنساخ بعض الكتب العلمية التي هم في حاجة إليها.

وعسى أن تتاح لي الفرصة فأوافي «الرسالة» الغراء ببحث خاص ذي صلة بالموضوع، (ومن كان متعجلاً فليراجع ما ورد بهامش مقال لنا نشر في عدد ٢٣٤ من مجلة الرابطة العربية تحت عنوان: خصائص الشعر في عصر ابن شهاب، أو يبل غلته بمراجعة تاريخ دخول الإسلام إلى الفلبين وهو من تأليف الدكتور نجيب صليب اللبناني المتوفى سنة ١٩٣٥م، وهو مطبوع في اللغة الإنجليزية طبع (منيلا) سنة ١٩٠٥م).

لقد كانت المدة التي قضيتها في البحر من حين أبحرنا من (المكلا) بعد ظهر يـوم الأحد في ٧/١١/١٩٤٣م إلى أن رسـت بنا السفـينة في ميناء (جدة) فـي ٢٥/١١/١٩٤٣م هي الكفـيلة بأن تـتيح لـي ما لم يكـن في الحسبان.

وكان الدواعي الـتي تجعلني أهـتم بالبحث والـتعرف على أنباء اليم كثيرة، ولو لم يكن مـنها إلا المتعة الغذائية التي يتحفنـا بها اليم في صباح كل يوم ومسائه لكانت هي وحدها كافية، فـضلاً عن الناحية العلمية التي يجدر بنا أن نشارك فيها بحسب المستطاع.

لفتت نظري هذه الأحياء العظيمة التي نشاهدها في البحر في كل آن، وهي تمشي زرافات ووحدانًا، والـتي منها ما يتحدى سفينـتنا في مجراها. فكاشفت ربان السفينة الحضرميـة والبحارة وزملاءهم أن لي شغفًا بالتعرف على هذه الأسماك مما شاهدنا وما لم نشاهد. فما كان منهم إلا أن أمدوني بهذه المعـلومات التي أدونهـا «للرسالة» الغراء، ولـهم عليَّ فضل الـتنويه والشكر.

ولم يحـجم أبناء البـحر - أستغفر الـله - بل أخْدانه عـن الحديث إلا ريثما أدون ما يفـوه به المتصدي للحديث، وكنت أدقـق في ضبط الألفاظ غاية التدقيق حتى إذا ما أشكل عليَّ لفظ استعدته مرة أخرى. هذا ما كان من جانبي؛ أما ما كان من جانبهم فإنهم كانوا مرهفين أسماعهم لمحدثي. فإذا ما قدم أو أخر نبهوه إلى غلطه في الحال.

فكانت لدي مـتعة روحية طيلة الساعـتين التي قضيتهمـا في العوم مع الأسماك.

ومن حديثهم أن الأسماك تنقسم إلى ستة فصائل:

١ - الفصيلة الأولى:

وهي ما يـسمونه بـسلطان البـحر واسمه فـي عرفهم شُـوْحَطْ، ومن فصيلته: صَيونْ، حاشْ، قفهْ.

ويلي هـذه الأسماء خمسـة أسماء أخرى لأنـواع هذه الفصيـلة، وقد غربت عن أذهانهم أو لم يعرفوا أسماءها أصلاً.

وبهـذه الفـصيلـة يوجـد العنـبر وبالأخـص فهـو كثيـر الوجـود في الشوحَطْ، وفي ثلاثة أسماك أخرى من الخمسة التي لم يحفظوا أسماءها.

٢ - الفصيلة الثانية:

هي فصيـلة اللَّخَمْ (بكـلاَه)، وهذا ما أملوه علـينا منها: حَـيْمْ، أبو سَيْفْ، فُنْطُهْ، شرِتْ، قَرِيْنْ، شَغْصُهْ، هِلْكهْ.

وهذه الأنواع السبعة من أحسن الفصيلة طعمًا، وهي حسب ترتيبها:

عُوْرَه، حِفِيْ، زِفِيْ، نَمراني، شِوَط، كِلْبهْ، نَغِلْ، دِجِلْ، حُبُوْرُوْقي، دُوْغَه، مَسكَحْ، شِيْخَهْ، عَوَرَوْبِرْ، غَفِرْ، يُوْبِـيْلْ، فَطَقُطَهْ، خَنَيْثْ، بَرَبِيْرْ، قَصفُوصْ، بِيَّرْ، صَعْمُوْرْ، قَطِفْ عَلي، قَطفْ حِمَرهْ.

٣ - الفصيلة الثالثة:

هي الصِيد الأسود، وهذه أنواعها:

ثمد، زينوب، شروى، ضريس، باعكيمة، ثيلم، حقيبة.

ومن الستة الأنواع المذكورة يصنع (الحنيذ) المعروف بهذا الاسم في حضرموت.

٤ - الفصيلة الرابعة :

هي ما يسمى بالصيد الأبيض، وهذه أنواعها:

ترناك. غودى. (والنوعان من أطيب الأسماك).

ضنك، خمخمة، شرام، رغي، زرب، رحنه، قزه، طمكري، سهاي، زعفنه، صليل، قفاط، خرخار، عنفلوص، صعياري، شتمه، حراب، بكسه، غلس، ظرهد، طويله، فرس، عنبريه، تكيه.

٥ - الفصيلة الخامسة :

وتسمى بصيد تشار[1]، وهذه أنواعها :

صرعه، (وهي أحسن أنواع هذه الفصيلة) ثم :

زوكي، خدرة، ويقد، عيظول، رغف، رعن، خودره، عندق، بوعدل، غريض، بطاح، قربيبه، نسار، قرحيق، أبو قشار، قلوان، خيوبر، حموره، طيم، بهاره، نثر، ذرذيره، دنقره، حمران، صمرار، كتب، نكز، صراده، زريه، بريه، وقاص، ناقم، ضرير، محلول، مشعا، قفاد، غمد، فشار، مريتع، صبو، بوحنيط، حيثول، ملمامي، عنوب، شماط، قطميم، بوليفه، طرعين، دقنه، مغاسم، جزك، أبو

(١) تسمى في الواقع (قشار).

صندوق، شيغر.

٦ - الفصيلة السادسة :

وهي التي تصاد بالشبكة، وهي :

عبد، زمار، طبوب، بلعد، شغره، عرعره، عيد بعيدون، شيظي، متوى، حضيره، كرمون، باغه، حابس.

ملاحظة :

تطيب بعض الأسماك في وقت، ولاتستحسن في الوقت الآخر. مثاله (الترناك) فإنه يلذ طعمه في فصل الخريف بحسب التوقيت العالمي كما يوافق فصل الشتاء بحسب التوقيت الحضرمي، ولهم في هذا دليل كما يقول المقريزي.

أما (الغودى) ففي كل وقت فهي لذيذة الطعم.

وفي العيد - يعني صغار السمك - يقول بعض أدباء الحضارمة في المهجر هازلاً:

ما جئت مستقبلاً عودي إلى وطني	من لي بوطء ثرى تلك البقاع إذا
(العيدُ والصيد والأسماك تعرفني)	هناك أنشد مسروراً ومفتخراً

اللغة المهرية :

هذه هي المعلومات التي دونتها عن الملاحين الحضرميين طيلة الساعتين التي كنت أتخطر فيهما مع النسمة الروحية - لا - الغذائية.

وهي كما ترى على أكثرها مسحة اللغة المهرية والشحرية - نسبة إلى الشحر - وهي ليست بذاك كما يقول علماء اللغة.

وقبيلة مهرة من القبائل العربية ونسبتها إلى قضاعة. وتسكن مهرة في ظفار الحبوظية ومرباط وسيحوت وغيرها من الأماكن الشرقية بالنسبة إلى موقع حضرموت، وهذه الأماكن يشملها اسم حضرموت، وذلك حسب التقسيم الجغرافي القديم، ولايعتد بالتقسيم السياسي اليوم.

وذكر بعض مؤرخي العرب أن لغة مهرة هي من بقايا التراث العربي القديم، أعني أنها من بقايا لغة عاد، وهي إلى اليوم لا كتابة لها.

ويؤكد بعض المؤرخين أنها من بقايا اللغة الحميرية. ويؤيد هذا الرأي فضيلة شيخنا العلامة الكبير مفتي (جوهور) سابقًا السيد علوي بن طاهر الحداد العلوي[1] فيقول:

«ويدل على هذا وجود كلمات فيها نص علماء اللغة على أنها حميرية. أذكر منها أنهم يسمون اللبن (شِخَوفْ) وهذا اسمه بالحميرية كما في القاموس، ويقولون: (قَيَهلْ) بمعنى أقبل. وقد ذكر هذا اللفظ بمعنى الوجه في ترجمة صاحب القاموس، ويقولون للنار (شَوَاظْ)، وهذا محرف عن (شُواظ)، ويسمون الماء (حَموهْ) وهذا هو اسمه في لغة عربية بتفخيم الألف وزيادة الحاء فقد حكى علماء اللغة أنه يقال: فيه (حاه) على لغة فإذا فخم الألف قرب جرسه في السمع مما ذكر.

(١) راجع ص ٩٧ من المجلد الثاني لمجلة الرابطة العلوية الصادرة من بتافيا، جاوه سنة ١٢٤٧هـ.

وقال أيضاً [1]: وللمهرة والقَرى - هم بادية مهرة وتسكن الجبال - وأهل سقطرى لغات متقاربة تجمعها اللغة المهرية، وبينهما فروق. وتسمى لغة القرى بالحكلي.

وأعدادهم محرفة عن العربية بتحريف بعيد أو قريب، والعدد في لغة الأمحارة الحبشية أقرب إلى العربية منها.

	أعداد القرى	أعداد المهرة	أعداد الحبشة
١ -	طاد	طَاطْ	أحَدْ
٢ -	ثِرَهْ	ثِلْثْ	لِتَيَنْ
٣ -	صَاطِيْطْ	صافيدْ (أو صفديد)	سلاسي
٤ -	أرْبَعَطْ	أربُوتْ	أرْبُوء
٥ -	خُونِشْ	خُمُهْ	هَمَسَهْ
٦ -	شِتتْ	يَتّيه	سَدِسْ
٧ -	شِبْعَتْ	هِبَيَايِتْ	لَسَبُوْ
٨ -	ثِنَيَتْ	ثِمِنْتْ	سَمانيه
٩ -	تسعِتْ	ثَابِتْ	زَطَّيْ
١٠ -	عِشْرِتْ	عِشْرِتْ	عَشر

هذا ما نص عليه فضيلة شيخنا في محاضرة له عن ظفار الحبوظية، نجتزئ بالنقل عنها بما يهمنا حسب سياق البحث.

(١) نفس المصدر صفحة ٩٧، ٩٨.

ولتكملة البحث نثبت هذه الألفاظ عن اللغة المهرية وهي:

ألفاظ مهرية	يقابلها بالعربية
تُخولْ	اجلس
اثّث	قـم
ثِيوُوْط (الثاء مفخم)	النار
حَيلو	الليل
من هوك قهبك؟	من أين جئت؟
كمبيت	الصحفة
شخوف	اللبن
هيبيت	الناقة
هيرون	الغنـم
بَقَريت	البقر
مَحِل	السمن
غجّينْ	صبي
غجّيتْ	بنت
حِيراني	ابني

وعن اللغة المهرية صدرت في أوروبا هذه المـؤلفات القيمة التي ذكرها المستشرق الإيطالي (الليتو) (راجع مجلة الزهراء). فعسى أن يقوم بترجمتها المجمع اللغوي أو أحد أبناء العروبة البررة، ومنها :

١ - Die Mehri, Sprache. In Sudarabine من تاليف A. JAHN وطبع في فيينا سنة ١٩٠٢م.

٢ - Die Mehri und, Soqtri Sprade.

كتاب اللغة المهريـة والسقطرية، وهو باللغة الالمانية طبـع في فيينا سنة ١٩٠٢م و١٩٠٧م، وهو في ثلاثة مجلدات.

٣ - رسائل متعـددة وهي من تـأليف Sikanakobodr N. reotted. مطبوعة في منشورات المعهد العلمي في فيينا سنة ١٩٠٩م وبعدها.

مرامي العنبر والإبل المغيرة :

ولن أحيد أصلاً عن موضوع بحثنا حيـنما أستطرد إلى مرامي العنبر، ولاسيما أن التاريخ العربي قد أقام لها وزنًا.

ويقول الأستاذ حسن عبدالسلام عن منشأ العنبر في كتابه "الذخيرة":

«ويغلب على الظن أن منشأه انعقادات صفراوية تتكون في أمعاء بعض القباطس البحرية (Sqermaceti Whale) كما تتكون الحصوات المرارية عند الإنسان وغيره من الحيوانات الثديية».

والقياطس البحـرية هي التي أسماها البحارة الحضرميون بالشوحطة، وما غرب عن أذهانهم من فصيلتها كما أشرنا إلى ذلك.

ومرامي العنبر ليست محصورة بمكان واحد. فكما يوجد على شواطئ البرازيل وجزيـرة مدغشقر وجزائر الهنـد الشرقية والصين واليـابان وزيلندا الجديدة وأستراليا وسـاحل أفريقيا الشمالي، كذلك يـوجد على الشواطئ

الهندية والعربية إلى باب المندب.

وللشواطئ الحضرمية نصيب من ذلك كما حدثنا التاريخ عنها في القديم بل والحديث.

قال **الهمداني**: «وبها - أي اليمن - مرامي العنبر على سيوفها، ولمرة وبني مجيد على سيفي بحر اليمن شرقًا وغربًا الجمال المعنبرة. وذلك أن مسائمها على الساحل، وإذا اشتم الجمل العنبرية برك فلم يثر حتى يفتقده صاحبه، فيطلبه فيجده بالقرب منها فيلتقطها. فإن أبطأ عليه لم يبرح حتى تفتر قواه من الجوى وربما نفق فذلك خيفته عليها»[1].

وقال في موضع آخر: «وباليمن من كرام الإبل الأرحبية لأرحب بن الدعام من همدان، والمهرية ثم من المهرية العيدية تنسب إلى العيد قبيلة من مهرة، والصدفية، والجرمية، الداعرية تنسب إلى دعر من بلحرك، والمجيدية، ومنها الإبل المعنبرة. (صفة ٢٠١)»[2].

وقسم **أبو عبدالله محمد أبو طالب الأنصاري الدمشقي** المعروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٨هـ العنبر إلى خام ومبلوع. وله نظرية في العنبر، أو هي نظرية المعلومات السائدة في ذلك العصر. وهذه النظرية لاتتفق والمعارف العصرية كما ذكرنا عن الأستاذ **حسن عبدالسلام**، ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه نبه في آخر بحثه إلى ماهو معروف لدينا اليوم وقال: قال قوم: إن للعنبر زبل هذه الدابة.

---

(١) صفحة جزيرة العرب، ص ٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠١.

ولا غرو أن نتيح له الفرصة ليتحدث إلينا بمعلومات أجدادنا العرب السابقين قال:

«ولهذا المحيط - يقصد المحيط الغربي - مد وجزر كالمحيط الشرقي. ويقذف ساحله العنبر الخام من غالب جهاته ولاسيما من خلجانه، والعنبر نبع من عيون من جبال بقعر البحر المالح الفارسي والحبشي والهندي والمغربي والصيني والموسوي فيركب بعضه بعضًا. وهو في حين خروجه شديد الفوران والحرارة، فإذا لاقى برد الماء جمد على أحجار وصار جماجم صغارًا وكبارًا، فيكون جموده كجمود الشمع إذا أصابه بعد ذوبه الماء البارد، فيبقى لاصقًا بتلك الصخور إلى أن يهيج البحر في زمن الشتاء فيقتلعه قطعًا قطعًا ويخرجه إلى سطحه فترمي به الأمواج إلى الساحل.

وأجوده الذي يقع إلى ساحل الشحر من بلاد المهرة فيلتقطه الجلابون؛ وربما ابتلعه سمك يسمى زوال، فإذا ابتلعه مات من شدة حرارته فتريقه الأمواج أيضًا فيشق عنه جوفه ويستخرج منه، وله رائحة زهمة ويسمى المبلوع والآخر الخام».

والعنبر إذا ألقاه الموج إلى الساحل لا يأكل منه حيوان إلا مات ولاينقر منه طائر إلا انفصل منه منقاره. وإذا وضع عليه رجليه نصلت أظفاره فإن أكل منه شيئًا مات.

وقد ورد في دابة العنبر حديث صحيح وهو: أن النبي ﷺ بعث ثلاثمائة رجل سرية وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فأجهدهم الجوع حتى إن الرجل كان يقتات في اليوم والليلة بتمرة واحدة،

فبينما هم يسيرون على ساحل البحر إذ أصابوا دابة العنبر مثل الكثيب الأضخم ميتة فأكلوا منها شهراً حتى سمنوا وكانوا يغترفون من وقب عينيها الدهن بالقلال، وأخذ أبوعبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في الوقب، وأخذ ضلعًا من أضلاعها فنصه ثم أدخل أعظم بعير وأركبه أطول رجل وأمره يدخل تحت الضلع فلم يبلغ رأسه مقعره. ولما رجعوا تزودوا من لحم السمكة حتى أوصلتهم إلى المدينة. فلما قدموا حكوا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هذا رزق ساقه الله إليكم. فهل معكم شيء فتطعمونا؟ فأرسلوا إليه منه فأكل.

وقال قوم: إن العنبر زبل هذه الدابة. (صفحة ١٣٣ - ١٣٤) من كتابه (**نخبة الدهر وعجائب البر والبحر**) المطبوع في بطرسبورغ سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م.

ومن نصه نفهم امتياز العنبر الذي يلقى على الشاطئ الحضرمي على غيره.

وللمسعودي إشارات إلى مرامي العنبر بالشواطئ الحضرمية والإبل المعنبرة فليراجعها من أحب.

ولا أعرف عن الإبل المعنبرة شيئًا اليوم. أما مرامي العنبر فلا تزال القياطس البحرية تكرم شواطئنا الحضرمية بمبراتها الودية في كل حين.

وهذه الإبل المعنبرة هي التي أشاد بذكرها التاريخ في سرعة السير كما تحدثت عنها الأسفار الأدبية. قال البعيث الحنفي:

وهاجرة بشوى مهاها سمومها ... طبخت بها عيرانة واشنوبتها

مفرجة منفوجة حضرمية ... مساندة سر المهارى انتقيتها

نطرت بها شجعاء قرماء جرشعا ... إذا عد مجد العيس قدم بيتها

وجدت أباها راتضبها وأمها ... فأعطيت فيها الحكم حتى حويتها

وقال جرير:

وكيف ولا أشد حبال رحل ... أروم إلى زيارتك المراما

من العيدي في نسب المهارى ... تطير على أخشتها اللغاما

ونعرف عتقهن على نحول ... وقد لحقت شمائلها الضماما

وقد غالى في القول أبو الشمقمق وجاوز الطرف إذ جعل نعليه تسابق الإبل المهرية على شدة سرعتها في السير، ولندعه يحدثنا كما شاء له ظرفه وأدبه. قال:

رحل المطى إليك طلاب الندى ... ورحلت نحو ناقتي نعليه

إلا لم يكن في بابزيد مطيتي ... فجعلتها لك في السفار مطيه

تحدى أمام اليعملات وتغتلي ... في السير تترك خلفها المهريه؟!

من كل طاونة الصوى مزورة ... قطعا لكل تنوفة روسيه

فإذا ركبت بها طريقًا عامرًا ... تنساب تحتي كانسياب الحيه

لولا الشراك لقد خشيت جماحها ... وزمامها من أن تمس بديه؟!

تنتاب أكرم وائلاً في بيتها ... حسبا وقبة مجدها مبنيه

أعنى يزيـــداً سيـــف آل محمد ... فراج كل شـــــديدة مخشبه

يوماه يوم للمواهب والندى ... خضل ويوم دم وخطف منيه

ولقد أنبيتك واثقًا بك عالمًا ... أن لست تسمع مدحة بنسيبه

ويقصد الشاعر بيزيد: **يزيد بن المؤيد الشيباني**، وكان والياً على اليمن.

★★★★★

الشعر العربي في حضرموت [١]

للأستاذ : أحمد طه السنوسي

البيئة الحضرمية بيئة عربية قحة، وهذه أول ميزة وأول موجة للشعر الذي يقال فيها وينشده شعراؤها في حيزها، والميزة الثانية قد نتجت عن الميزة الأولى، فنحن نجد أن التخاطب في حضرموت بلهجة تقرب من اللهجة المصرية. ونجد في التخاطب الحضرمي أنه يستعمل ألفاظًا عربية أصيلة كثيرة مما لا نحس له وجودًا في تخاطب البلدان العربية الأخرى، ومما لايذكر إلا في المعاجم عادة، ويرجع ذلك إلى امتداد الصبغة العربية القحة منذ فجر التاريخ الحضرمي إلى اليوم. ولم يستطع التطور الحديث أن يقتحم بقوته فيقضي القضاء كله على النزعة والصبغة العربية الأصيلة في هذا البلد الحضرمي.

وعلى هذا فليس من عجب إذا ما ألفينا الشعر الحضرمي أقرب الأشعار العربية إلى الأشعار القديمة وخاصة الجاهلية، وتلك ظاهرة لايجد المرء نصبًا في استشفافها والوقوف عليها حين اطلاعه على أشعار الحضارمة، ولا يغيب عنا أن شاعرنا الكبير امرأ القيس نشأ في زمنه في هذا القطر وقال شعره فيه، فبيئة حضرموت إذاً بيئة الشعر منذ أقدم عصوره، وبيئة التفنن منذ فجر تاريخه، كما أنها بيئة العربية ولهجاتها ومصادرها.

---

(١) مجلة الرسالة، عدد ٨٨٧، الصادرة في ٣ يوليو ١٩٥٠م، القاهرة.

ولا نستطيع أن نقول إن الشعر الحضرمي الحديث قد بلغ شأوًا بعيدًا وذروة رفيعة من المجد الشعري الحديث على الرغم مما أداه في عالم اللفظ من جمال وقوة، وما وصل إليه في عالم الوضوح من الرقي والرفعة، وذلك أرجعه إلى علل وأسباب أهمها: أنه لا يتأثر إلا قليلاً بالثقافة الحديثة، وأنه يغرق في اللفظ وضخامته وفخامته ثم يُذر للنواحي الأخرى بعض الاهتمام، وهذا البعض يطوح به الأسلوب حينًا ويتغاضى عنه الشاعر نفسه أحيانًا. ثم إن هذا الشعر الحضرمي لايمكن أن يجد فيه العربي خارج حضرموت لذة وجمالاً، وإنما يجد هذه الأشياء الحضرمي الذي يعيش في البيئة الحضرمية فوق أرضها وتحت سمائها، وهذه البيئة لايستسيغها بالطبع ذلك العربي خارج حضرموت، وبالتالي فتأثيرها على الشعر جعل هذا الشعر غير مستساغ في الجو العربي الخارجي. وبالرغم من أن هنالك شعراء تخلصوا من هذا الحيز ومن تلك السيطرة فأمكن لنا ولغيرنا أن نجد في شعرهم لذة وجمالاً، وأخذنا نقبل عليه يزيدنا شوقًا إليه. إن فيه الروح العربي الصميم مما لانكاد نجد له المثيل في الإغراق في الشعر العربي الحديث؛ نظرًا لتأثر هذا الأخير بالثقافة الحديثة والتطورات الزمنية والبيئة الموجهة.

على أننا نجد أن هنالك في حضرموت ككل بلد عربي شعراً شعبياً يدعى « بالشعر الحميني » وهذا النوع ينتشر في حضرموت ويرتقي ويجد رواجًا كبيرًا، غير أنه أيضًا قد تأثر إلى حد بعيد بالصبغة العربية القوية للشعر الحضرمي، فلو لا اللهجة وتحريفها وأساليبها لأضحى شعراً حضرميًا قحًا.

ثم إننا نلحظ شيئًا هامًا في الشعر الحضرمي، وذلك هو الصبغة الصوفية والنزعة الفقهية، ونحن لو درسنا الشعب الحضرمي وبيئته واتجاهاته نجد أن هذه الصبغة وتلك النزعة متأصلتان فيه، بارزتان واضحتان في أفكاره ومناحيه، فلا غرابة أن يبرزهما إلى درب الشعر لتجد مسلكًا جميلاً للبروز والانتشار، ولا غرابة أن يبديهما في ثوب الشعر لتستطيعا أن تجدا طريقهما إلى التأثير الصحيح والفائدة المطلوبة منهما، ولكن هناك فارقًا هامًا بين هذه الصبغة وتلك النزعة في الشعر الحضرمي، وبينهما في الشعر العربي القديم؛ ذلك لأنهما في الشعر الحضرمي لايزيدان على كونهما غلالة شفيفة تعكس هذا الشعر دون أن تطغى على رداء المعنى؛ وذلك لأن المعنى نفسه ليس في المرتبة الأولى إذا قسناه باللفظ في ذلك الشعر، فالمعنى لايُهتم به كثيرًا، سواءٌ أضاعه اللفظ أو غشته غلالة الصوفية وكساء النزعة الفقهية.

لكننا مع ذلك لانستطيع أن نغمط الشعر الحضرمي حقه الواضح في بلوغ ذروة عالية حين يحدثنا عن الألم ودواخل النفس وتأثرات الشعور، فإنه يجمع إلى جمال الوشي استثارة المشاعر، ويضفي على الوصف الدقيق وعلى تصوير الدواخل والدوافع والإحساسات جميل اللفظ وبديع الأسلوب، فيأتي بشعر جميل حقًا يقرؤه المرء فيجد فيه صدقًا وإخلاصًا في التصوير وتشويقًا في العرض وجلالاً وجمالاً في الإدلاء والإبداء.

ويقول الشعر الحضرمي في كل الأغراض التي قال فيه الشعر القديم، يهمه أن يدلف درب ذلك الشعر ويحذو حذوه، ولا ينسى في بعض

الأحايين أن يشاركه في الدمن والأطلال والاهتمام بالتجريد وذكر الآلات والأشياء المحطمة من بيئته الحضرمية.

ولعل أهم الأمور التي جعلت الشعر الحضرمي - على جلالة قدره ورفعة مرتبته - غير معروف وغير مدروس في عالمنا العربي أن أغلبه لاينشر ولايجمع، فهي البيئة الحضرمية التي تتداوله بالرواية وتملي عليه الخمول فلا يأخذ طريقه لنشر أو لذيوع ودرس في الحلقات الخارجية من الجو العربي. وما ينقصه إلا أن يعترف بأهمية القومية العربية الشاملة في قصائده ويهتم بها، وأن يقلل من إخلاصه للجاهلية من ناحية، وأن يساير ركب المدنية ولايبخل بالثقافة الجديدة والتطور الجديد من ناحية أخرى، وأن يلج سدته ويهز سرجه بلجامه إلى الأمام. وهاكم بعض الأمثلة :

قال الشيخ **عبدالصمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله باكثير الكندي**[1] في شكوى الحظ العاثر:

أراني إذا ما الليل جاشت كتائبه   أبيت وقلبي حائر الفكر ذاهبه

أقضيه بالأشجان والهم والأسى   ودمع على الأوجان ينهل ساكبه

تبيت أفاعي الهم في غيهب الدجى   تساور قلبي بالعناء وتواثبه

وقال أيضًا:

يا عاذلي دعني وشأني إن لي   قلبًا بغير الحب لا يستأنس

كيف السلو عن الأحبة بعدما   دارت علي من الصبابة أكؤس

(١) شاعر حضرموت الأكبر في القرن العاشر الهجري، له ديوان ضخم لا يزال مخطوطاً.

ويقول متألمًا:

خذ من قديم حديثي مبتدا سقمي   وما أقاسي من الأوصاب والألم

مبتدا خبري فعل اللواحظ من   عيون خشف رمت سهما أراق دمي

رمى فشك الحشا من نبل مقلته   بغير شك وقد أوهى قوى هممي

فطار يومي وبات الهم يقلقني   ومهجتي للظى الأشجان في ضرم

وخالف النوم أجفاني وحالفها   طول السهاد فلم أهدأ ولم أنم

محا الغرام سلوى واستباح دمي   هوى الأغن فسرى غير منكتم

لي في الظلام أنين كلما سجعت   ورقاء أرقت فوالهفي ووالندمي

برق لي كل من بالليل يسمعني   فمن لصب عميد باللحاظ رمى

ويقول السيد **شيخ بن عبدالله العيدروسي العلوي في قصيدة رثاء**:

نقضي فتمضي حكمها الأقدار   والصفو تحدث بعده الأكدار

والدهر أبلغ واعظ بفعاله   وكفى لنا بفعاله إنذار

وهو القائل **في توسيلة له**:

يا من لقلب بالصبابة ممتلي   وأضالع بلظى القطيعة تصطلي

من ذا لما بي كاشف إلاك يا   من قد مددت له أكف توسلي

ويقول السيد **محمد مولى الدويلة العلوي**:

الحب حبي والحبيب حبيبي   والسبق سبقي قبل كل مجيب

نوديت فأجبت المنادي مسرعا … وغطست في بحر الهوى وغدا بي

لي تسعة وثلاثة مع تسعة … والعقد لي وحدي وزاد نصيبي

ويقول **محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي الحب الخطيب الأنصاري** من محادثاته الشعرية:

تجنب أرضك الوبأ الوخيم … وجانب سوحك السدم السليم

ومنها:

مجاج مياهها فيه شفاء … إذا مجت على الأرض الغيوم

نسيم جنوبها أبداً صحيح … وطبع الجو فيها مستقيم

وطبع مياهها في الصيف برد … وأيام الشتاء هي الحميم

تعادل حرها والبرد فيها … فلا برد يضر ولا سموم

وطبع البرد فيها فيه لطف … بطيب نسيمه تنمو الجسوم

ويقول **الأمير محمد بن علي الكثيري**:

إن جئت (عينات) فحي ثراها … واستنشق العرفان من رباها

والصق جبينك بالتراب مقبلا … شكراً لمن أولاك لثم ثراها

بلد أقام بها الكمال وحبذا … بلداً غدا الغوث العظيم حماها

واستقبل الشيخ المعظم خاشعاً … في ذل نفس كي تنال مناها

ويقول **السيد عبدالله الحداد العلوي** في حديث نفسي:

ألا يا نفس ويحك كم تواني … وكم طول اغترار بالمحال

وكم سهو وكم لهو وهزل … وكم ميل إلى دار الزوال

وكم شغل بما لا خير فيه … وكم حرص على شرف ومال

وكم تلوين عن محمود فعل … وكم تقعين في قبح الفعال

وقال أيضاً:

أيا مشغول بلبل … عن جميع الكون جمله

فإذا ما قيل من ذا … قل هو الصب المولـه

أخذته الراح حتى … لم تبق فيه فضله

راح أنسي راح قدسي … ليست الراح المضلـه

ومن شعر حضرموت راعينا في انتقائها تصوير الواقع وتسجيل الموجود، وهو جدير بالعناية، قمين بالالتفات والاهتمام.

*****

الأدب الحضرمي وعلاقته بمصر [١]

بقلم الأستاذ : طه بن أبي بكر السقاف [٢]

تربط القطر الحضرمي بالقطر المصري روابط متينة العرى، متماسكة الحلقات، أعظمها وأبرزها مظهراً رابطتا الدين واللغة: فمصر من العهد الذي غمرها الإسلام وملأ فجاجها، قد ارتبطت بالأصقاع الإسلامية - قاصيها ودانيها - وأصبحت شقيقة لهن، تتألم لألمهن، وتغتبط لغبطتهن، وترى أن من نتائج سعادتها رفاهة عيش شقيقاتها، وانبثاق فجر المعارف والعلوم في ربوعها، ورؤيتها إياها رافلة في حلل الحرية والنهوض.

وإذا كانت هذه نظرة مصر إلى جاراتها المسلمة، وشعورها نحو تلك الأصقاع المنثورة التي تمتّ إليها برابطة الدين، وجامعة الإسلام، ووحدة اللغة، فإن مما لا مشاحة فيه ولا ريب أن شعور وعواطف الشعوب المسلمة تجاه مصر لهو أحكم عقدة، وأشد إبراماً، وأعمق أثراً، وكيف لا يكون كذلك؟ . . . ومصر ما برحت مصدر الثقافة، ومنبع المعارف، ومحط الآمال، ومناط الرجاء؟ وأن العالم الإسلامي ما انفك يرنو إليها - ككلية

---

(١) نشر في مجلة المعرفة العدد ١٧ ، سبتمبر ١٩٣٢م، القاهرة.

(٢) طه بن أبي بكر السقاف: أديب وشاعر وصحفي هاجر من حضرموت، وعمل أستاذاً في مدرسة الجنيد بسنغافورا، وأقام هناك حركة صحفية نشطة حين أصدر مجلته الهشرية «النهضة الحضرمية» صحيفته الأسبوعية «صوت حضرموت» وكانت صوتاً عربياً عالياً في المهجر، لم يجمع شعره في ديوان، توفي في سنغافورا في أواخر الخمسينيات، والمؤسف أن من تمكنا من الاتصال به من أبناء هذا الأديب الكبير لا يعلم عن والده أكثر مما أوردنا !!. (م . ب . ح)

جامعة لأشتات العرفان، وكمصدر رئيسي للثقافة الدينية - وبالرغم من وجود حركات هدامة، ونعرات جاهلية حديثة العهد - يقوم بها فئات من أبناء مصر - من التشدق بالفرعونية، والتغني بالقومية، مما يرمي إلى فصل مصر عن شقيقاتها الإسلامية، ويقذفها فراسخ عن عطفهن - كما هي الحال الواقعة في تركيا - فلا يزال لمصر في قلوب الناطقين بالضاد منزلة المحب المكرم.

وفي طليعة البلدان التي تنظر إلى مصر - كما ينظر الفلكي إلى إصطرلابه - «حضرموت» التي كانت - ويا للأسف - أسباب المواصلات وسبل الاحتكام بينها وبين مصر متعسرة؛ لصعوبة أسباب النقل والمواصلات، ومع ذلك فإنها تنظر إلى مصر بعين الإجلال والإكبار، وتدين لها بكل ما تنعم به في نهضتها الأدبية الحالية، بل في كثير من مناحي حياتها الدينية، إذ إن أمهات الكتب الدينية وأسفار التاريخ التي تدرس فيها لم تستجلب إلا منها، ولا عبرة بوجود بعض كتب طبعت في الهند، فهذه - على ندرتها - لم تكن من أمهات الكتب وكبرياتها.

وليس الأدب - في الحقيقة - إلا شعور وأحاسيس وأخلاق يرسمها قلم الناظم والناثر على القرطاس، فتلمس فيها تقدم الأمم أو تأخرها، وكلما ضربت الأمة بسهم وافر من المعارف، ونضجت ملكاتها العقلية، كانت أقرب إلى الإجادة، وأسرع إلى النبوغ في مقاصد الأدب وأغراضه من غيرها، ولا يغرب عن البال أن للبيئة والمكان أثرًا فعالاً في ازدهار الأدب أو تقويمه، بيد أنه باعتباره مادة الحياة، أو بعبارة أخرى «تراث إنساني»

اشتركت فيه جل الأمم، وإن اختلفت صوره وأشكاله من حيث قوته عند البعض، وضعفه عند البعض الآخر، فإن هذا يرجع أمره إلى استعداد الوسط، وقابلية البيئة كما علله الباحثون.

ومهما يكن من ضؤولة المجهودات الأدبية ونتاجها بحضرموت، واندثار آثار كثير من حملة البيان وأساطين القريض بها؛ لعدم اعتنائهم بالتدوين من جهة، واستفحال شأن الإباضية والخوارج فيها من سنة ١٢٥ إلى سنة ١٠٦٠هـ، وتمشي الروح الصوفية بعد ذلك من جهة أخرى فلا تزال أسفار التاريخ تحفظ لنا جزءًا يسيرًا من تراث الأدب الحضرمي الخالد، وهو، وإن كان ضئيلاً، غير أننا نستطيع أن نقيس به الروح الأدبية في «حضرموت»، ونتلمس بأيدينا المدى الذي بلغت إليه.

ويجدر بنا - قبل الدخول في معمعان هذا البحث - أن نقسم تاريخ «حضرموت» إلى ثلاثة أدوار، وغرضنا من هذا التقسيم أن نزف إلى القارئ - غير الحضرمي - صورة مكبرة للقطر الحضرمي من العهد الجاهلي إلى عهدنا هذا، ولعلنا نؤدي بهذا بعض الواجب علينا نحو قطرنا المحبوب.

الدور الأول.. الدور الجاهلي :

لا امتداد في أن «حضرموت» كانت موطن أقوام عاد ومقر أقيال التبابعة، ومعقل ملوك كندة وحمير، وآثار أولئك الأسلاف لاتزال باقية وموجودة حتى الآن، وقد بلغت «حضرموت» وقتئذ من المدنية والحضارة مبلغًا عظيمًا لايجهله المطلع، وقد قص القرآن علينا شيئًا كثيرًا من مدنيات

عاد وثمود وتبع، ومن الادلة التاريخية الدالة على أهمية «حضرموت» وخطورة مقامها، أن لقب «تبع» متوقف على الاستيلاء عليها، وهذا يبرهن على مركز حضرموت الممتاز في تلك القرون السالفة، وإلا فلم يتوقف لقب تبع على تملكها ودخولها تحت الطاعة؟

وقد أجمع المؤرخون على أن آثار الجزيرة العربية - بأقسامها الخمسة - ما برحت مطمورة تحت الرمال، وإنما دل ما ظهر منها، واكتشف صدفة، على أنها جزء من اليمن الذي لايقل في حضارته ومدنيته روعة وجسامة، عن الحضارات القديمة من عراقية وشامية ومصرية، فإن ما عثر عليه منذ سنوات قريبة بـ «هجر» - وهي قرية في محلاف «صداء» - وما اهتدى إليه بعض العرب في «مرخة» عفواً، من سبائك ذهبية، ومومياوات محلاة بجواهرها وأقراطها الذهبية، ومن أصنام من الذهب، وبيوت تحت الأرض مطمورة صقلت بالرخام، ومحاقد وكنوز لاتتسع هذه العجالة لسردها - مما لايبقى معه أدنى شك في تلك الحضارات الزاهية، والمدنيات العظيمة، ولو عني بالكشف عنها - لتكشفت لنا آثارها المجهولة، ولتقدمت المعلومات عن تاريخ القطر الحضرمي وما له من عظمة.

وفي هذا الدور - أعني الدور الجاهلي - لم تترك لنا الأيام كبير أثر عن الأدب الحضرمي لعوامل لا تخفى على أن ما وصل إلينا في هذا الباب، هو ما يتيه به الحضرمي ويجر أذيال الزهو:

أصبرت نفس السوء! أم لم تصبري ... ببنيي ومن تهوين يوم المعشر

إني امرؤ عف الإزار عن الخنا ... لم أغش منذ نشأت باب المنكر

ومنها:

يا راكباً لشملة مهرية ... وجناء دوسرة سلالة دوسر

تطوي القفار البيد تنتهب الفلا ... كالبرق يلمع من خلال العثير

ومنها:

حتى إذا ما الليل أبرد شطره ... وسرت على الوجناء أم حبوكر

بادرتها بالرحل ثم نسأتها ... فجرت كجري الأجدل المنحدر

ومدورة قامت ولم تلبث بها ... إلا مقام مسلّم ومخبر

وبدا الصباح فصبحت من كندة ... بقرار عرصتها سلالة جعفر

وصفوة القول أن الأدب الحضرمي - في دوريه الثاني والثالث - كان متأخراً كما بينا ذلك في صدر مقالنا، وقد أوضحنا بعض العلل والأسباب لتأخره وانحطاطه، مستندين في ذلك إلى قرائن الحياة العقلية في حضرموت في تلك العصور - درسناها بالاستقراء علاوة على النصوص والوثائق التاريخية التي اعتمدنا عليها في إصدار هذا الحكم. بيد أن حضرموت إذا ما أرادت أن تباهل بشعرائها البارزين فلا أظنها تقدم على هذه المباهلة إلا على أكتاف الشاعرين الفحلين: ابن عقبة[1] وعبدالصمد[2]. فهذان الشاعران - ولا فخر - هما الدرتان اللتان لمعتا في تلك العصور، وخلدتا لحضرموت اسماً لا يمحوه كر الأيام.

---

(١) ابن عقبه الشبامي.

(٢) عبدالصمد باكثير.

وفي مختتم القرن الثالث عشر الهجري، سرت في القطر الحضرمي حركة مباركة ونهضة أدبية فتية، فتطورت الأفكار وأخصبت القرائح، وأصبح الشعر - بعد أن كان موقوفًا على الدمن والأطلال والرثاء والمديح - ملتقى، تشاهد على لوحته مناظر صادقة وصورة طبق الأصل للشعر الذي يعبر به عن خلجات النفس ونبضات القلب؛ ولم تكن النهضة الفكرية التي سرت في الشرق الغربي قاصرة على مصر وحدها، كلا، فإن لسوريا والعراق واليمن وحضرموت كذلك نهضات مباركات، بيد أننا لاننكر أنها قد تكون في البعض منها قوية عنيفة، وفي غيرها ضعيفة واهية؛ تبعًا لطبيعة الإقليم والبيئة؛ غير أنها تتفق في مظهرها وهيكلها، ألا وهو حاجة اللغة إلى أن تعبر عن النفسيات والأغراض بكل وضوح مترسمة في سبيلها منهاجًا يتمشى مع روح العصر ويتلاءم وعقلية أبناء القرن العشرين.

فإذا ما ذهبنا نعد من مشاهير شعراء العصر - بمصر وسوريا والعراق - **(شوقي والمرحوم حافظ إبراهيم والرصافي والكاظمي ومطران وإيليا أبو ماضي والزهاوي وبدوي الجبل وشبلي ملاط والمرحوم الرافعي وأحمد محرم وطانيوس عبده)** وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم، فلسنا بالمغفلين من شعراء حضرموت السيد العلامة **أبابكر بن شهاب**، والسيد الأستاذ **محمد ابن هاشم**، والشاعر المطبوع السيد **أحمد السقاف**، والشيخ **علي أحمد باكثير**، والسيد **صالح بن علي الحامد**، والسيد **محمد بن شيخ**، وغير هؤلاء كثير اكتفينا بذكر المشاهير منهم. وإذا كانت هذه الشهرة لاتتجاوز حدود حضرموت، فإن ذلك يرجع إلى رغبتهم عن الظهور وكراهيتهم للشهرة.

والسيد **أبوبكر بن شهاب**، هو الذي نفخ في شعراء الحضارم روحاً جديدة والبس القريض حلة طريفة، وله ديوان مطبوع جمع من رقيق الشعر وجزله الشيء الكثير، فهو بحق يدعى مجدد الأدب في حضرموت. ولا نكتم القارئ أن لمصر في نهضتنا الأدبية المباركة أثراً بارزاً ويداً بيضاء؛ فإن ما تقدمه مصر إلى حضرموت من ثمرات أفكار شعرائها العباقرة - أمثال أمير الشعراء، والمرحوم **حافظ إبراهيم** - جعل الحضرمي يقبل على تذوق الأدب المصري ومحاكاته، فكانت هذه المحاكاة وهذا الاحتذاء هما اللذان عنيناهما بالعلاقة والصلة بين أدب مصر وحضرموت في عنوان مقالنا، وهما العلاقة التي كان لها أحسن الأثر في الأدب الحضرمي العصري.

*****

الأدب العصري في الجنوب الغربي بشبه جزيرة العرب[1]

للدكتور ر . ب . سارجنت[2]

حضرموت :

لقد تأثرت الحياة السياسية والثقافية لحضرموت، في خلال عدة قرون على أقل تقدير، تأثراً عميقاً بما طبعتها به عدة أسرات شهيرة من السادة نذكر من بينها الأسماء القليلة الآتية: **السقاف، وعيدروس، وبافقيه، وباعلوي**[3]. وفي القرن الحادي عشر الهجري أخرجت أسرة السقاف التي كان مقرها في ذلك العهد غالبًا في تريم وابلاً من الأدب الصوفي، وطبعًا أخرجت الأسرات الأخرى كذلك مجموعة غير صغيرة من المؤلفات الصوفية. وقد طبع من مؤلفات السقافين عدد ما في خلال القرن الماضي.

---

(١) نشرت في مجلة الرسالة، العددان ٦٢٠ (٢١ مايو ١٩٤٥م) و٦٢١ (٢٨ مايوا ١٩٤٥م).

(٢) روبرت سارجنت (١٩١٥-١٩٩٤م) مستشرق بريطاني شغل عدة وظائف علمية وحكومية، له مؤلفات كثيرة ما بين كتب ومقالات طويلة وقصيرة عن اليمن بشكل عام، وحضرموت منها على وجه الخصوص. ومن أشهرها «نثر وشعر من حضرموت أو مختارات من الأدب العامي الحضرمي» (١٩٥١)، وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد سعيد دحي و«السادة في حضرموت» (١٩٥٠م) و«يهودي عربي من حبان» (١٩٥٣م) و«هود وأنبياء الجاهلية في حضرموت» (١٩٥٤) وغيرها كثير. (م . ب . ح)

(٣) باعلوي: ليس اسم عائلة وإنما يطلقه البعض على عائلات السادة جرياً على العادة الحضرمية في إضافة الـ «با» لاسم العائلة. (م . ب . ح)

ولم يقتصر نفوذ السقافين على كليتهم أو مدرستهم التي كانت في تريم، بل كانت لهم كذلك صلة بضريح عينات[1] المشهور، الذي تظهر صورته على طوابع البريد الحضرمية، وكان نفوذهم وعلاقاتهم تمتد في ذلك الحين - كما تمتد اليوم - إلى أفريقية الشرقية وإلى الهند ولاسيما أحمد آباد، بل ربما كانت لهم علاقات بالجاليات العربية في جزر الهند الشرقية. ومن المعلوم لنا أن الأسرة كانت مزدهرة منذ عهد يرجع على أقل تقدير إلى القرن التاسع، ومن عجيب ما يروى أنه كان هناك شخص يسمى حسين ابن أبي بكر السقاف استنكر تدخين التبغ الذي كان يباع في جزيرة العرب في سنة ١٠١٢هـ هجرية، وقد نجح في الحصول على حظر بيعه العلني في الأسواق. واشتهر السقافون بأنهم صوفيون غيورون، وارتحلوا في بقاع الأرض برسالتهم الصوفية، وتقبلوا العباءة الصوفية من أعضاء الجمعيات الصوفية الأخرى.

ومن ثم لم يكن غريبًا أن يكون اليوم للحضرميين حي يقطنون به في القاهرة، بناحية الجمالية، على مقربة من مسجد سيدنا الحسين، وقد نشر عدد من الكتب الحضرمية أحدها تأليف كاتب سقافي. ويحتوي هذا الكتيب على ست قصائد في مدح الإمام يحيى، نظمت في سنة ١٩١٢م حينما كانت بلاد اليمن تحت الحكم التركي، ونشرت في سنة ١٩٢٦، وبه أيضًا ردان شعريان من الإمام نفسه، إذ إن الإمام شاعر معترف بشاعريته. وقد قامت هذه الأسرة المجددة في خلال السنتين أو الثلاث الماضية بنشر

(١) عينات: اسم بلدة في وادي حضرموت.

مجلة الاعتصام، وهي صحيفة شهرية تصدر في مدينة سيون، وتعالج الشؤون الدينية والثقافية والأدبية، ومن حسن حظي أنني أمتلك نسخة من هذه المجلة، وهي العدد الثامن الصادر في صفر سنة ١٣٦٢هـ، وهي السنة الأولى في حياة الصحيفة. ومما يذكر عن هذه المجلة أنها مكتوبة بخط اليد، إذ يظهر أنه ليس في ذلك الجزء من الوادي مطبعة، ولا بد أن تكون هذه الصحيفة هي المجلة الوحيدة التي تصدر في البلاد العربية على هذا الشكل.

وصدر في القاهرة كذلك منذ بضع سنين كتاب آخر هام عن حضرموت اسمه **«تاريخ حضرموت السياسي»**[1]، وهو يشتمل على قدر كبير من المعلومات القيمة، وليس فيما يتعلق بالشعراء العصريين، والأدب العصري، والتاريخ الحديث فقط، بل كذلك فيما يتعلق بالعلوم التي نهضت في الغرب، كعلم طبقات الأرض وعلم وصف البلدان، مما له فائدة جليلة على الرغم مما قام به الطيران في السنوات الأخيرة من رحلات الكشف والاستطلاع.

وحضرموت تواجه الشرق كما تواجه الغرب، ولقد كانت العلاقات بين جنوبي جزيرة العرب والهند قائمة على أساس وطيد قبل الإسلام بزمن طويل. ويقوم اليافعيون اليوم بالخدمة المتوارثة في الحرس السلطاني الخاص لنظام حيدر آباد، كما كان اليافعيون والمهريون يخدمون في الحرس

(١) تأليف الأستاذ صلاح البكري.

الخاص في أحمد آباد في عهد مضى عليه أكثر من أربعة قرون. ولدينا من الرجحان ما يقرب من اليقين إذ نعزو سبب طبع كتب مثل كتاب «فتوح اليمن» في بمباي وغيرها من البلاد الهندية إلى أنه كان في الهند جاليات حضرمية، كذلك طبعت كتب أخرى تختص بشؤون جنوبي جزيرة العرب في المدينتين الهنديتين الكبيرتين: كلكتا وكانبور، غير أنه طبع في بغداد في عهد أحدث من هذا، كتاب مشهور هو «النور السافر، عن أخبار القرن العاشر» وهو من تأليف أحد أفراد أسرة العيدروس، ويتناول أخبار الصوفيين في جنوبي الجزيرة العربية وكجرات.

وللحضارمة جاليات تقطن منذ عهد بعيد في جزائر الهند الشرقية الهولندية، ومستعمرات الملايو البريطانية، وإن كان من المرجح أن نشأة تلك الجاليات لاترجع في تاريخها إلى مثل ما ترجع إليه جاليات الحضارمة في الهند. وللحضارمة مطبوعات نشرت في بتافيا، عاصمة الهند الشرقية الهولندية منذ سنة ١٨٧٥م وتتناول هذه المطبوعات في معظمها العلوم الدينية، والفقه، وعلم التوحيد، وبعضها طبع حجر وبعضها طبع حروف، وبعد ذلك التاريخ بعشرة أعوام طبعت خريطة هامة لشبه الجزيرة العربية، وكذلك الأطلس العربي للسيد عثمان، على مطبعة الحجر.

وقد سبق أن ذكرنا «جريدة الاعتصام» الحضرمية، ولكنه لا مفر من طبع جميع الكتب الحضرمية في الخارج، وكذلك الجرائد المطبوعة تأتي من الخارج. فمن ذلك أن الجرائد تستورد من جزائر الهند الشرقية الهولندية،

ومن المرجح أن يكون من بينها «جريدة حضرموت» التي تطبع في سورابايا في الهند الشرقية الهولندية، منذ نحو سنة ١٩٢٣م. وكانت تطبع في سنغافورة جرائد عربية قبل الحرب الماضية. على أنني لم أر واحدة منها، وأرجح كل الترجيح أنها كانت من تحرير الحضارمة، وأنه ظلت الجرائد العربية تظهر هناك حتى عهد قريب. ومن الصحف المتداولة في المدن الساحلية للمحيط الهندي مجلة «العرب» التي تصف نفسها بأنها «جريدة إسلامية، إخبارية، أسبوعية، تصدر من الهند»؛ وقد بدأت هذه الصحيفة في الظهور في سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤١م، وهي تحتوي على أخبار ومعلومات عامة عن عدن، واليمن، وحضرموت. وهي تطبع في بمباي، وتدعى أنها «حلقة الاتصال بين الهند والعالم العربي». ويرد إلى حضرموت مجموعة متنوعة من الصحف بالإضافة إلى الصحف المصرية والعراقية، غير أن توزيعها مقتصر على المدن، ولاسيما المدن التي هي أقرب إلى الساحل.

ومعلوماتنا عن الجهود الأدبية للحضارمة خارج وطنهم، معلومات متناثرة في جملتها، وبما أنهم أقليات في تلك البلاد التي اتخذوها وطنًا لهم ـ مهما تكن تلك الأقليات مهمة ـ فقد جر النسيان ذيله علي جهودهم الأولى. وليس فيما أعلم في المكلا نفسها مطبعة، وإلى أن تنشأ هناك آلة للطباعة لن يكون مفر من أن ينتشر الأدب عن طريق المخطوطات التي تنسخها الأيدي، أو عن طريق المطبوعات التي تستورد من البلاد العربية الأخرى. وهذا أدعى إلى الأسف، إذ إن للبلاد تاريخًا ثقافيًا عريقًا يمكن

المحافظة عليه وتغذيته بما يعيد إليه الحياة مرة أخرى، بإدخال فن الطباعة[١].

******

(١) وفي العدد ٦٥٠ من (الرسالة) الصادر في ١٩٤٥/١٢/١٠م نشر حضرمي لم يكشف عن اسمه من (مباسا) بأفريقيا التعقيب التالي بعنوان **الصحافة في حضر موت** :

"طالعت في العدد ٦٢١ من مجلة الرسالة مقالة عنوانها : "الأدب العربي". للدكتور ر.ب سارجنت تكلم فيها عن حضرموت وبشر بمستقبلها الحسن، وذكر بدء الحركة الأدبية بها، وانتعاشها . وبعد أن عدد بعض الأسر من السادات قال في سياق خطابه : وقد قامت هذه الأسرة المجددة في خلال الستين والثلاث الماضية بنشر مجلة (الاعتصام)، وهي صحيفة شهرية تصدر من مدينة سيؤن وتعالج الشئون الدينية والثقافية، إلى أن قال: ولا بد أن هذه الصحيفة هي المجلة الوحيدة التي تصدر في البلاد العربية على هذا الشكل .

وأحب أن أعرف جمهور قراء مجلة (الرسالة) الغراء بأن حضرموت منذ عهد قديم بدأت تباشير النهضة الحديثة تدب في شبابها، فأسسوا الجمعيات والنوادي وفتحوا المدارس التي تهيئ نشأتهم لخوض معترك الحياة، وقاموا بنشر المجلات والصحف ، فأول مجلة صدرت من سيؤن (التهذيب) في حدود سنة ١٣٥٠تقريباً، وتلتها مجلة (الإخاء) صدرت من "تريم" وقامت بها "جمعية الأخوة والتعاون" في سنة ١٣٥٦هـ، فمجلة (الحلبة) في بلد مسيلة الشيخ ويحررها الأستاذ علي بن عقيل بن يحيى في سنة ١٣٥٧هـ، فمجلة (الاتحاد) في بلدة عينات وقام بها "نادي اتحاد الشباب" سنة ١٣٦٠هـ، فمجلة (النهضة) فمجلة، (زهرة الشباب) وصدرتا من سيؤن سنة ١٣٩٠هـ، فمجلة (الاعتصام) وهي الأخيرة التي صدرت منها

وكل أولئك المجلات مخطوطة إلا (الإخاء)و(الحلبة) فقد طبعتا بحروف مطبعية بعد أن بدتا بصورة خطية . على أنه يجب أن أذكر للقراء الكرام أن هذه المجلات جميعها تصدر في حجم صغير يتناسب مع حالة البلاد الأدبية والاجتماعية . (م . ب ح)

حضرموت وعهدها بالنحلة الإباضية [١]

للأستاذ عبدالله حسن بلفقيه[٢]

★ لمحة عن مسمى حضرموت :

حضرموت في أصلها مملكة أو ولاية تقع في جنوب شبه جزيرة العرب، وهي وإن كانت مضافة إلى اليمن وتحسب في اعتبار البعض مخلافًا من مخاليفه، فهي معدودة أيضًا كأحد الأقاليم الشهيرة التي يتألف منها شبه جزيرة العرب. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الكبير ابن خلدون في تاريخه الشهير.

ويذكر ابن خلدون في تحديده لإقليم حضرموت ـ كما يستخلص من مواضع متفرقة من كلامه في تاريخه ـ أن حد إقليم حضرموت من الشرق إقليم عمان، ومن الغرب ناحية عدن أبيرة ومخلاف بيحان، ومن الجنوب البحر الهندي، ومن الشمال أرض وبار وبلاد كندة[٣].

(١) نشرت بمجلة "المعرفة" عدد سبتمبر، أكتوبر ١٩٣٣م.

(٢) عبدالله بن حسن بلفقيه، أديب وباحث ومؤرخ، ولد في مدينة تريم بحضرموت ثم هاجر إلى إندونيسيا، له عدة مؤلفات أهمها ما كتبه عن تاريخ الهجرة الحضرمية، ومقالات في صحف المهجر الشرقي، وفي مقدمتها (صحيفة حضرموت)، وله عدة مؤلفات مخطوطة، وقد عاد إلى وطنه الأصلي وتوفي في تريم بعد الاستقلال جنوب اليمن بسنوات. (م . ب. ح)

(٣) ص ٩٢ و٢٢٥، ٢٢٦، ج ٤ ، مقدمة ابن خلدون.

وينقل ابن خلدون عن ابن حوقل تقسيم إقليم حضرموت إلى قسمين: فيقول: إنهما يكونان معاً لملك واحد، فيسمى أحدهما بحضرموت وهو قسم الداخل، ويسمى الآخر - وهو القسم الساحلي - بالشحر وببلاد مهرة، وببسايط حضرموت. وتحديده لهذا القسم الساحلي بأن من غربيه ساحل البحر الهندي الذي عليه عدن[1]، وفي شرقيه بلاد عمان، وفي جنوبيه بحر الهند مستطيل عليه، وفي شماله حضرموت كأنها ساحل له.

أما بعض المتأخرين من علماء حضرموت فلهم أقوال أخرى ينقلونها عن تحديد حضرموت، وأشهرها أن حدها بجهة الغرب الجنوبي عين بامعبد الواقعة غربي بير علي، وفي الشرق الجنوبي المكان المسمى بديعوت الكائن غربي سيحوت، وفي الغرب الشمالي حدود ريدة الصيعر، وفي الشرق الشمالي نهاية حدود مهره في الشمال، فيحمل هذا التحديد شرقًا على المشقاص وما حاذاها من التخوم الفاصلة بين أرض الظني ومهره، ويحمل غربًا على جردان وما والاها.

أقدم عهد لاتصال الخوارج بحضرموت:

أول ما كان من اتصال الخوارج بحضرموت ما يذكره المؤرخون كابن خلدون من انتياب الخوارج النجدية، أي أشياع نجدة بن عامر الحنفي، لحضرموت وبعثهم لها في سنة ٦٦ من الهجرة بافديك لقبض الصدقة باسم الفرقة النجدية.

(١) عدن المذكورة هنا هي عدن أبيرة. انظر ص ٢٢٢، ج ٤، مقدمة ابن خلدون.

بدء عهد الإباضية:

ثم كان عهد الإباضية[1] أتباع **عبدالله بن إباض الصريمي الحارثي**، وهم إحدى فرق الخوارج. ويجتمعون مع بقية الفرق الخارجية في القول بتكفير عثمان وعلي ومعاوية وأصحابه والحكمين ومن رضي بالتحكيم. وفي القول أيضًا بتكفير الزاني والسارق، وفي القول بوجوب الخروج على السلطان الجاير. ويبتدئ عهد الإباضية بحضرموت بدخول أبي حمزة الخارجي البصري إلى حضرموت سنة ١٢٩هجرية، بعد افتتان **عبدالله بن يحيى الكندي** به، وبدعوة الإباضية حينما لقيه بمكة سنة ١٢٨هـ.

محاولة إنكار العهد الإباضي بحضرموت:

كتب صاحب جريدة **الهدى** السنقافورية حضرة **عبدالواحد الجيلاني** مقالا أطلعنا عليه بمجلة (المعرفة) عدد نوفمبر ١٩٣٢م عنوانه: «مجلة المعرفة وما ينشر فيها». وفي هذا المقال أبدى صاحب جريدة الهدى محاولة إنكار وجود عهد النحلة الإباضية بحضرموت، وما كان من إبادتها عقب دخول الإمام المهاجر **أحمد بن عيسى** إلى حضرموت وتوطن السادة العلوية بها، مما ذكره مؤرخو حضرموت.

ماذا قال المؤرخون عن دخول الإباضية ووجودها بحضرموت؟

إن واجبي بإزاء محاولة صاحب جريدة الهدى - لإنكار عهد الإباضية بحضرموت، وإنكار إبادتها على يد العلويين وتلامذتهم وأنصارهم -

(١) بكسر الهمزة كما ضبطه شارح الكامل: سيد بن علي المرصفي.

يتحدد فـي الا أريد على نقل أقوال مشـاهير المؤرخين وثقاتـهم لدى الأمة العربـية والشعوب الإسلامـية. وأن أسرد ما ذكـروه فـي تاريخهـم عن دخول النـحلة الإباضيـة إلى حضرمـوت، وعن وجودها مدة تـقرب من القرنـين حتى جاء عهـد السادة العلـويين الذي كان فيـه إبادتها، وتطـهير الإقليم الحضرمي منها.

ولا أتعرض إلى غير عزو القول إلى قائله ملخصاً أو مبسوطاً، ولكني أدع التعليـق على ذلك لقراء «المعرفـة» الذين بينهم ـ والحمـد لله ـ العدد الكثير من ذوي المكانة العالية في العلم والفطنة، والاطلاع والتحقيق.

ابن جرير الطبري :

قال **ابن جرير الطبري** فيما يرويه عن **موسى بن كثير**: كان أول أمر أبي حمزة، وهو **المختار بن عوف الأزدي السلمي** من البصرة. قال موسى: كان أول أمر أبي حمـزة أنه كان يوافي كل سـنة مكة يدعو الـناس إلى خلاف **مروان بن مـحمد** وإلى خلاف آل مروان، قـال: فلم يزل يختـلف في كل سنة حتى وافى **عبدالله بـن يحيى** في آخر سنة ١٢٨هـ فـقال له: يا رجل اسمع كلامًا حسـنًا، أراك تدعو إلى حق فانطلق معـي، فإني رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان[1].

(١) ص ٧٨، ج ٩، تاريخ الطبري طبعة أولى بالمطبعة الحسينية بمصر.

المسعـودي :

قال **المسعودي** في تاريخـه: وفي سنة ١٣٠هـ جهز مروان بـن محمد جيشًا مع **عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي** فلقي الخوارج بوادي القرى فقتل بلخ (يعني **ابن عقبة الأزدي**)، وفر أبو حمزة. وأكثر من كان معه من الخوارج، وسار عـبدالملك في جـيش مروان من أهـل الشام يريد الـيمن، وخرج عبـدالله بن يحـيى الكندي الخارجـي من صنعاء، فـالتقوا بنـاحية الطايف وأرض جرش فكـانت بينهم حرب عظيمـة، قتل فيها **عبدالله بن يحيى**[1] وأكثـر من كان مـعه من الإبـاضيـة، ولحق بقـية الخوارج بـبلاد حضرموت، فأكثر أهـلها إباضية إلى هذا الوقت وهو سنـة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، ولافرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا الوقت[2].

ابن الأثير :

قال ابن **الأثير** في تاريخه الكامل فـي حوادث سنة ١٢٨هـ: كان اسم أبي حمزة الخارجي **المختار بـن عوف الأزدي السلمي الـبصري**، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الإبـاضية يوافي كل سنة مكة ويـدعو الناس إلى خلاف **مروان بن مـحمد**، فلم يـزل كذلك حتى وافى عـبدالله بن يـحيى المعروف طالب الحق في آخر سنة ثمان وعشرين، فقال له: يا رجل أسمع كلامًا حـسنًا، وأراك تدعو إلـى حق، فانطلق مـعي فإني رجل مـطاع في

(١) ذكر المسعودي قبل هذا الكلام أن عبدالله بن يحيى سمى نفسه طالب الحق.

(٢) ص ٦٧، ج ٣، من تاريـخ المسعودي بمروج الذهـب، والمطبوع بهامـش نفح الطيب سـنة ١٣٠٢هـ بالطبعة الأزهرية بمصر.

قومي، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان. وقال في حوادث سنة ١٢٩هـ: وفي هذه السنة قدم أبو حمزة بلخ بن عقبة الأزدي الخارجي الحج من قبل عبدالله بن يحيى طالب الحق محكمًا للخلاف على مروان بن محمد، فبينما الناس بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام وعمايم سود على رؤوس الرماح وهم سبعمائة، ففزع الناس حينما رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان. وذكر في حوادث سنة ١٣٠ بقية أخبار أبي حمزة وقتله وقتل طالب الحق[1].

ابن خلدون :

قال في تاريخه: كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي البصري، وكان من الخوارج الإباضية، وكان يوافي مكة كل موسم يدعو الى خلاف مروان. وجاء عبدالله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ١٢٨هـ وهو من حضرموت، فقال له انطلق معي فإني مطاع في قومي «فانطلق معه إلى حضرموت وبايعه على الخلافة. وبعثه عبدالله سنة ١٢٩هـ مع بلخ بن عقب الأزدي في سبعمائة، فقدموا مكة وحكموا بالموقف، وعامل المدينة يومئذ عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك. وذكر ابن خلدون قتل أبي حمزة وانهزام الخوارج بوادي القرى، وقتل طالب الحق بعد ذلك[2].

---

(١) ص ١٦٦، ١٦٧، ١٧٧، ١٨٥، ١٨٦، ج ٥، من ابن الأثير طبعة أولى بالمطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣١٠هـ.

(٢) ابن خلدون (٣/١٢٧).

وساق في آخر الباب كلمته عن انقراض كلمة الخوارج بالشام والعراق إلى أن قال: إلا ما كان من خوارج البربر بافريقية، فإن دعوة الخارجية فشت فيهم ثم فشت دعوة الإباضية والصفرية.. إلى قوله: وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر، ثم قال بعد ما تقدم: وكان بنواحي البحرين وعمان إلى حضرموت وشرقي اليمن ونواحي الموصل آثار تفشى وعروق في كل دولة.

وختم ابن خلدون الباب بهذه الجملة: ويقال إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت (أي عهد المؤلف في النصف الأخير من القرن الثامن)، والله يضل ويهدي من يشاء[1].

ونقل ابن خلدون عن ابن حوقل ما نصه: ويسكنها (أي الشحر، وهو قسم حضرموت الساحلي) بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاعة.. إلى أن قال: ودينهم الخارجية على رأي الإباضية منهم[2].

مقارنة بين أقوال الشلي وأقوال هؤلاء المؤرخين :

ينسب صاحب جريدة «الهدى» الشلي صاحب المشرع الروي في مناقب بن علوي، إلى أنه لايكتب لمجرد التدوين التاريخي، وأن صفته التحامل والتحزب فيما يكتب، ونحن مضطرون هنا إلى نقل ما أورده الشلي بهذا الصدد مما يجعله محوراً للاستشهاد على تحامل العلويين الذي ما زلنا نجهله، ونجهل كثيراً الطرف المقصود به في هذا المقام.

---

(١) ابن خلدون (٣/ ١٧٠).

(٢) ابن خلدون (٤/ ٢٢٧).

قال الشلي رحمه الله: ثم في سنة تسع وعشرين ومائة استولى على هذا الإقليم طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الأعور، واجتمع عليه الخوارج، ثم سار إلى صنعاء واستولى عليها فجبى الأموال وجهز إلى مكة عشرة آلاف وغلبوا عليها، ولما سمع بخبرهم مروان بن محمد - وكان بالمدينة - جهز عليهم، والتقى الجمعان بقديد في صفر فانهزم أصحاب مروان وقتل منهم ثلاثمائة نفر من قريش منهم: حمزة بن مصعب بن الزبير، وابنه عمارة، وابن اخيه مصعب بن عكاشة، وأمون بن عبدالله، وعمرو بن عثمان. وقتل من بني أسد أربعون، وفيه يقول النابغة:

ما للزمان وما إليه ... أفنى قديد رجاليه

ثم بعث مروان بن محمد أربعة آلاف عليهم عبدالملك بن عطية السعدي، والتقوا مع أصحاب طالب الحق بمكة المشرفة، فانتصر أصحاب مروان، وقتلوا أصحاب طالب الحق، فلما بلغه ذلك أقبل من اليمن في ثلاثين ألفا، وسار ابن عنية لقتاله فالتقوا ثانيًا، ودام القتال حتى قتل طالب الحق وقتل معه ألف حضرمي وبعث برؤوسهم[1] إلى مروان.. ثم قال بعد كلام لا علاقة له بالموضوع: ولم تزل الإباضية ظاهرين في هذا الإقليم وشوكتهم قائمة إلى أن قدم المهاجر إلى الله تعالى أحمد بن عيسى[2] (وساق نسب المهاجر) فطهر الله به البدع والضلال بما أورده من صحيح

(١) نقل ابن الأثير في الكامل قتل طالب الحق وحمل رأسه إلى مروان.

(٢) هاجر المهاجر إلى حضرموت سنة ٣١٧هـ بطريق الحجاز واليمن، ووصلها حوالي سنة ٣١٩هـ، وتوفي بها سنة ٣٤٥.

الاستدلال، وأحياه به ونشره بعدما أماته وأقبره. ثم تلاه الشيخ سالم[1] فأنزل البدعة إلى أنزل رتبتها، ونشر العلوم وأظهر فضيلتها. ثم عززهما الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم[2] فقدس به ذلك الوادي، وأسس على التقوى مسجد ذلك النادي، فأظهر في هذا الإقليم عقائد أهل السنة والجماعة، وأحيا العلوم على الصراط المستقيم، قاصداً بذلك وجه الله الكريم.

وقال في موضع آخر: لما وصل السيد الإمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار، وعملت المطي إليه من أقصى القفار، ودخلت الخوارج تحت الطاعة، وعلمت الإباضية أن ليس لهم بأهل السنة استطاعة، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد اضمحلال، وأظهر إمامه الإمام الشافعي بنشر مذهبه، وأقعد النسب الهاشمي في علياء رتبه، وتاب على يده خلق كثير، ورجع عن البدعة إلى السنة جم غفير، بعد أن ركبوا الصعب والذلول في تشتيت شمله والله يجمعه، واجتهدوا في خفض مناره والله يرفعه[3].

هذا هو ما أورده صاحب المشرع بصدد عهد الإباضية بحضرموت وكيف كان دخولها إليها، وكيف تمت إبادتها في عهد العلويين.

(١) الشيخ سالم: هو سالم بن بصري ترجمه الطيب بامخرمه في الجزء الثاني من تاريخه فقال: سالم بن بصري بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق إلى آخر نسبه، ثم قال: وبصري المذكور هو أخو علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى جد الأشراف آل أبي علوي؛ وذكر أنه توفي سنة ٦٠٤ هجرية.

(٢) توفي الفقيه المقدم رضي الله عنه، ونفع به بتريم سنة ٤٥٣ هـ.

(٣) المشرع الروي (١/ ١٢٧، و١٥٤، و١٥٥).

رأي مفتي حضرموت [1]

السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف [2]

فيما دار بين عزام باشا والسيد محمد بهجت الأثري :

كان السيد محمد بهجت الأثري قد ناقش رأياً ورد في كتاب عزام باشا (الرسالة الخالدة) حول مسألة العدول عن النص إيثاراً للمصلحة. ونشرت هذه المناقشة في العدد ٧١٢ من مجلة الرسالة. وقد اطلع على هذه المناقشة السيد محمد عبدالقادر بامطرف من المكلا بحضرموت، وعرضها على العلامة السيد عبدالرحمن بن عبيدالله مفتي الديار الحضرمية، فأرسل رأيه في الموضوع وهذا هو :

---

(١) نشرت في مجلة الرسالة العددان: ٧٦١ (٢ فبراير ١٩٤٨م و٧٦٢ (٩فبراير ١٩٤٨م) القاهرة.

(٢) السيد العلامة: عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف (١٢٩٩ - ١٣٧٥هـ)، ولد في بلدة سيؤن بحضرموت، نشأ في أحضان والده العلامة: عبيدالله بن محسن المعدود من كبار رجال الخير والصلاح، كان قوي الحافظة، مجداً في طلب العلم، أخذ عن كثير من شيوخ وقته، ومنهم والده، والسيد علوي بن عبدالرحمن السقافالذي كلفه بالتدريس في منهاج الإمام النووي وشروحه، وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، دفعه علمه إلى الاتصال بالدولة التركية (الدولة العلية)، وكانت بينه وبين الوزير محمود نديم باشا والأمير علي سعيد باشا اتصالات ومكاتبات، كما اتصل بالإمام يحيى حميد الدين، وكانت بينهما لقاءات متعددة وقصائد متبادلة، وسافر إلى حيدرآباد الدكن سنة ١٣٤٩هـ وأقام له رئيس الوزراء مأدبة فاخرة حضرها سائر الأمراء والأعيان، وكانت له اتصالات بالأمير جمال الدين محمد علي الإدريسي سنة ١٣٢٤هـ، وبالسيد يوسف بن أحمد الزواوي بمسقط (عمان) وبالملك عبدالعزيز بن سعود، سافر إلى جاوا عام ١٩٢٨م ساعياً للصلح بين الحضارم في جزائر الهند الغربية عندما اشتد الخلاف بين العلويين والإرشاديين وقوبل بحفاوة بالغة، وقام بتأليف العديد من المصنفات في شتى العلوم وكلها تحمل في طياتها روحاً قوية، وبلاغة في تعبيراتها، منها: (العود الهندي عن مجالس في ديوان الكندي)، (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت)، (صوب الركام في تحقيق الأحكام) ومؤلفات أخرى، وله ديوان شعر مطبوع. (م . ب. ح)

الجواب والله الموفق للصواب أن الحق فيما ظهر لي كان في جانب الأستاذ عبدالرحمن عزام، ولكني رأيته سلك من الإنصاف ما لا يلزمه حتى أقله إذ لم يزل مع الصواب في قرن فهو في مياسره الدالة على طيب النية وصدق الإخلاص شبيه بذي الرمة إذ ورد الكوفة فاعترضه ابن شبرمة في قوله:

إذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية يبرح

وقال إنه يدل على زوال رسيس الهوى لأن نفي كاد للإثبات فلم ينفصل وقد قال عنبسه حدثت أبي بذلك فقال أخطأ ابن شبرمة. وكان لذي الرمة الانفصال إنما هو كقوله تعالى: ﴿لم يكد يراها﴾ والمعنى أنه لم يرها وهذه شبيهة بتلك، وليس الأستاذ بأول من قال بالعدول عن النص إيثاراً للمصلحة العامة بل له في ذلك السلف الطيب من السادة المالكية والحنفية والشافعية وحسبه من الحنابلة قول أحد أئمتهم، وهو العلامة ابن تيمية في منهاج السنة، أن الله بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقلبها. اهـ.

وقال **الشوكاني**: في المسألة مذاهب المنع مطلقًا وعليه الجمهور، والجواز مطلقًا، أي وإن خالف المنقول، وهو المحكي عن مالك، والثالث إن كانت المصلحة ملائمة لأصل كلي أو جزئي من أصول الشرع جاز العمل بها وإلا فلا، قال ابن برهان وهو الحق المختار، والرابع إن كانت المصلحة طردية قطعية كلية كانت معتبرة وإلا فلا، واختاره الغزالي والبيضاوي. اهـ.

ولن يعوز الأستاذ عزام المبرر ولاسيما من الثاني والثالث، وإشهاد الخليفة الثاني بمراعاتها أظهر من ابن جلا، بل هو قطب تلك القاعدة فلا معنى لاستنكارها، وذلك الخليفة الجليل نقطة بيكارها، وسنذكر عنه من مثلها ما يشاء الله أن نذكر منها ما استدل به الأستاذ عزام من قضية الخراج، فقد عدل ابن الخطاب عن الآية المحكمة فيه وهي قوله جل ذكره: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾. وقد قال الأكثرون ومنهم الشافعية إنما فتح السواد عنوة فكان غنيمة لا فيئاً. أما ما نقله الأستاذ الأثري عن أبي يوسف عن ابن الخطاب من احتجاجه على منازعيه بآيات الحشر فإنه على الأستاذ لا له. أما أولاً فلأن آيات الحشر صريحة في الفيء الذي لا إيجاف فيه بخيل ولا ركاب لا في الغنيمة وبينهما بعد المشرقين. وأما ثانياً فإن الشافعية يتأولون لابن الخطاب تأويلين أحدهما ما ذكره شراح المنهاج بأنه قسمه بين الغانمين ومنهم أولو القربى، ثم استمال قلوبهم فبذلوه له فوقفه على المسلمين، ولكن ما نقله الأستاذ الأثري من احتجاج ابن الخطاب بآيات الحشر يقطع خط الرجعة على هذا التأويل؛ لأنه لو كان لم يكن للاحتجاج بتلك الآيات معنى.

وثانيهما ما ذكره **الماوردي** في "**الحاوي**" و**أبو الطيب الطبري** في "**شرح المزني**" أن عمر عوَّض الغانمين من أرض السواد ووقفه على المسلمين وهو مثل سابقه، ومن أين لابن الخطاب ما يعوضهم به حينئذ

عن تلك الأرض الطويلة العريضة وهو الذي لايدع في بيت المال صفراء ولا بيضاء إلا تبرأ منها إلى من يستحق؟ وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج: اختلف الفقهاء في أرض السواد فقال بعض: تخمس ثم تقسم الأربعة الأخماس على الفاتحين كما فعل صلى الله عليه وسلم بخيبر لآية الأنفال المحكمة في ذلك، وقال بعضهم: إنها إلى رأي الإمام، إن شاء جعلها غنيمة وإن شاء جعلها فيئاً كما فعل عمر بأرض السواد وأرض مصر. انتهى مختصراً.

وهذا أيضاً لايتناسب مع ما نقله العلامة الأثري من احتجاج ابن الخطاب بآيات الحشر وقال ابن جرير أن عمر همّ أن يقسِّم أرض السواد بين الغانمين كما تقسم الغنايم ثم قال كيف بالآجام ومنابع المياه والغياض والهضب المرتفع والغائط المنخفض؟ وكيف يصنع هؤلاء بالماء وقسمته؟ أخاف أن يضرب بعضهم وجوه بعض. ثم جمع الغانمين فقال لهم: ذلك فرضوا أن تقر الأرض حبيسا لهم يولونها من تراضوا عليها ثم يقتسمون غلتها في كل عام، فقال عمر اللهم إني قد اجتهدت وقد قضيت ما عليّ، اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد. اهـ.

وهو صريح في أنه إنما جمع الغانمين ليتلو عليهم ما رآه وما أداه إليه اجتهاده. وهو من أقوى الأدلة لما ذهب إليه الأستاذ عزام في أن ابن الخطاب إذا وقف به الأمر بين المصلحة والدليل كان من اجتهاده إيثارها عليه لاحتماله التخصيص والتأويل بخلافها. وأما قول ابن جرير: إنهم رضوا فبعيد جداً مع كثرتهم وغيبة كثير من أولى القربى المشروط رضاهم

مع شح الأنفس بالأموال بل قد أشار الأستاذ الأثري إلى حصول نزاع بين ابن الخطاب وبعض الصحابة في ذلك مما يدفع ادعاء الرضى، وقال ابن القيم: ونازع في ذلك بلال وأصحابه فطلبوا منه أن يقسِّم بينهم الأرض التي فتحوها فقال عمر: هذا غير المال ولكن أحبسه فيئاً يجري عليكم وعلى المسلمين، فقال بلال وأصحابه: اقسمها بيننا. فقال عمر: اللهم اكفني بلالاً وذويه، فما حال الحول وفيهم عين تطرف، ثم وافق سائر الصحابة على ذلك، وكذلك جرى في فتوح مصر والعراق وأرض فارس وسائر البلاد التي فتحت عنوة، لم يقسِّم منها الخلفاء الراشدون قرية واحدة ولا يصح أن يقال أنه استطاب نفوسهم ووقفها برضاهم، فإنهم قد نازعوه في ذلك وهو يأبى عليهم، ثم قال - أعني ابن القيم - وليس هذا الذي فعله عمر رضي الله عنه بمخالف للقرآن، فإن الأرض ليست من الغنايم التي أمر الله بتخميسها وقسمتها.

وقوله إن الأرض ليست من الغنايم مبني على قول ابن الخطاب أن الأرض ليست من المال، ولكنه مخالف للحقيقة اللغوية، وإن أخذ به السادة الحنابلة كما في المقنع وغيره من كتبهم أن المسلمين إذا غنموا أرضاً فتحوها بالسيف وخير الإمام بين قسمتها ووقفها على المسلمين، وذهب مالك إلى أن الأرض المغنومة لا تقسم بل تكون وقفًا يصرف خراجها في مصالح المسلمين، وقالت الحنفية بتخيير الإمام بين أن يقسمها بين الغانمين وأن يقرها لأربابها على خراج أن ينتزعها منهم ويقرها مع آخرين. وذهبت الشافعية إلى أن الغانمين يملكونها بانقضاء الحرب وهم أسعد القوم في هذه

القضية بالدليل، وعليه فدعاء ابن الخطاب بلالاً وأصحابه كان بدون مبرر
وقد أخرج البخاري عن عمر أنه قال: أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك
آخر الناس ليس لهم من شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر. قال الشوكاني فيه تصريح بما
وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنه عارض ذلك عنده حسن النظر
لآخر المسلمين فيما يتعلق بالأرض خاصة فوقفها عليهم.

ولو لم يكن إلا هذا وحده لكفى مبرراً لقول عزام ورد كلام الأثري
وهو نص جلي فيما قدمناه فلله الحمد على الهداية، ولم يذكر ابن القيم
احتجاج عمر بآيات الحشر لأنها لاتصلح للغنيمة، وإنما جرى ابن الخطاب
في السواد على النص ما اشتهر من قوله: (متعتان كانتا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما) فإنه ظاهر
المصادمة للنص، وقد حاولوا بجواب عنه فلم يأتوا إلا بالتافه المردود،
وذكر ابن خلكان في ترجمة يحيى بن أكثم أن المأمون يسوقه مساق المنفتي
عليه يقول: ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما أقره رسول الله صلى الله
عليه وسلم... إلى آخر القصة التي يكفينا منها موضع الشاهد، وهو
هذا، وأصله في صحيح مسلم عن جابر قال كنا نستمتع بالقبضة من
الدقيق والتمر الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر
وصدراً من خلافة عمر حتى نهانا عنهما عمر، وبعيد جداً أن يقول ابن
الخطاب عنها ذلك القول الغليظ، وهو ذاكر النص بدون أدنى إشارة إليه،
وإنما جرى منه على انقياد من ترجيح المصلحة، ولابن الخطاب في قضية

المتعة مزية، إذ قد ظهرت النصوص بعد ذلك متظاهرة على تحريمها موافقة
لما ذهب إليه، بأصالة رأيه وبُعد نظره، ومنها حديث سبرة الجهني عند
مسلم وأبي داود وأحمد، ومما يتأكد به أن قول عمر في متعة النساء كافة
رأي ارتآه، وجمعه إياها ومتعة الحج في سياقه واحدة، وقد أخرج مسلم
عن ابن أبي مليكة عن عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فأمر الناس بالعمرة في هؤلاء العشرة، وليس
فيها عمرة فقال: أوَ لا تسأل أمك عن ذلك، قال عروة فإن أبابكر وعمر
لم يفعلا ذلك، فقال الرجل: من هاهنا هلكتم، ما أرى الله عز وجل إلا
سيعذبكم، إني أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبروني
بأبي بكر وعمر... والحديث أطول من هذا، والرجل هو ابن عباس، وله
شواهد كثيرة وحسبنا منها أن قول عمر في متعة الحج كان برأيه المخالف
للنص، والمصلحة التي رآها في ذلك هي كرهه لأن يدخل الناس في الحج
ومذاكيرهم تقطر؛ لأن الرفيهنة لاتليق باخشيشان النسك. وقول ابن
عباس لعروة أوَ لا تسأل أمك النسب بمتعة النساء وله قصة طويلة مذكورة
في السير، ولكن لعل الحديث اختصر فانتقل النظر، ولا ينكر أحد أن
عمراً رضي الله عنه كان وقّافاً عند كتاب الله ولكن إذا استنار له الدليل،
وإلا فإنه يذهب عند ظهور المصلحة إلى التأويل، ولعل منه قياس الغنيمة
على الفيء إن صح احتجاجه بآيات الحشر الذي ذكره غير واحد سوى من
سماهم الأستاذ الأثري.

وحسبك بما جرى منه يوم الحديبية، فإنه لم يقبل كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولو وجد أعوانًا لرده وخرج مغضبًا ثم لم تنكسر سورة غضبه إلا عند انقطاع الحيلة وتعقب مراجعات له من أبي بكر طويلة، وعذره في ذلك شدة غيرته على الدين، ومنها إشفاقه عليه وقوة شكيمته وصلابة عوده في الحق وصحة إخلاصه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فجرى على سجيته العربية من خشونة اللفظ مع نسيان التحفظ تحت تلك التأثيرات، ولو قالها غيره لطعنًا فيه، أما هو فعلى حد قوله:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

وهل فوق هذا دليل على أن ابن الخطاب يسير مع ما يراه من المصلحة للإسلام وإن حادت عن النص الخاص والعام، ولقد فعل يوم مات ابن أبي من اعتراضه على رسول الله ﷺ وجذبه بثوبه ماهو معلوم، وكان له في ذلك منقبة إذ نزل الذكر الحكيم بموافقته بعد، وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم يوم اشتد وجعه ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبداً، فمنع عمر فليس في ذلك إيثار للمصلحة التي رآها على النص الصريح بلى وألف بلى. فمرحى للأستاذ عزام مرحى إذ ألهمه الصواب من أوحى إلى عبده ما أوحى، وأكبر من هذا كله ما جاء في التمدن الإسلامي ص ٢١٧ ج ١ طبعة ثالثة من ص ١٢١ ج ٢ من خطط المقريزي من تقرير ابن الخطاب للمكوس في الاسلام مع مصادمة ذلك للنصوص، حتى لقد قال بعض الشافعية أن استحلال المكس كفر، ونقل العصامي في تاريخه عن قطب الدين النهرواني أن الألسنة انطلقت بالوقيعة في القضاة

الأربعة بالقاهرة الذين أفتوا بحل المكس في جدة، وقالوا إنهم اعتمدوا هوى الملك حفظًا لمناصبهم.

وما أخطأ صاحب التمدن إلا في تعيين الصفحة والجزء من الخطط وإلا فقد جاء في ص ١٦٦ منها - وأصل ذلك في الإسلام - أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منهم العشر، فكتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم، وخذ من كل تاجر من تجار العهد من كل عشرين درهماً درهماً، ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهماً، ونهى عمر بن عبدالعزيز عن ذلك، وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس.

ومن تلك الأمثال ما رواه طاوس عن ابن عباس قال كان طلاق الثلاث واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، وسنتين من خلافة عمر، فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم. رواه أحمد ومسلم وفي لفظ آخر رواه مسلم. فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليه، وفي آخر رواه مسلم أيضًا أن عمر قال أجيزوهن عليهم، رواه أبو داود. وكنت استنكر القول بأن الثلاث واحدة لما حصل من تشنيع العلماء على ابن القيم وشيخه في اختيار ذلك ولأن الحنابلة على اعترافهم بفضل هذين الشيخين لم يوافقوهما على ذلك، ولأن الأئمة الأربعة على

خلافه حتى رأيت العلامة **الشوكاني** يبالغ في تأييده، ويعد من الاجلاء من يقول به، والإمام الرازي يقول في تفسير آية الطلاق من البقرة أنه الانفس، ويلغني أن من لايشك في دينه من الحضارمة يقرّه، فرجعت عما كنت عليه فيه، ومعاذ الله أن نقول أن ابن **الخطاب** أو من دونه من العلماء القائلين بالاستصلاح يقصدون مراغمة النصوص الشرعية، إنا إذاً لظالمون، ولكنهم إذا ظهرت المصلحة المحققة رجحوها متحيزين إلى النصوص العامة في ذلك كقوله جل ذكره: ﴿**ما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ وقوله: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر**﴾، وأمثالها مما لا يحصى، وفي الصحيح «**يسرا ولاتعسرا**»، ومن أساطين الشريعة ما اخرجه ابن ماجه مرفوعًا «**لا ضرر ولاضرار**»، ولقد أراد النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**، أن ينزل ببدر منزلاً لم يره **الأنصار** موافقًا للقتال فخالفوه فرجع إلى رأيهم، وقال للأنصار عام قدومه المدينة «**ما يضركم أن لاتؤبروا**» فخرج نخل المدينة شيصا فقال لهم: «**أنتم أعرف بدنياكم**». واتفق أصحاب السير على أنه عليه السلام عزم على أن يصالح رئيسي غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف على أن ينصرفا بقومهما في حادثة الأحزاب ولهما ثلث ثمار المدينة، ثم شاور السعدين بعد تمام المراوضة فقالا إن يكن الله أمرك فسمعاً وطاعة، وإن كنت إنما تريد أن تصنع لنا بذلك فلا حاجة لنا به، فرجع إلى قولهما. ووجه الدلالة فيه من جهتين أن النبي أراد التصرف في أموال الأنصار بدون استرضائهم كلهم للمصلحة، وأن السعدين خالفاه للمصلحة أيضاً فرجع إلى رأيهما، وأكبر من ذلك ما أخرجه مسلم عن عمران بن

حصين أنه **صلى الله عليه وسلم** أخذ رجلاً من غفار بجريرة حلفائه من ثقيف وما كان إلا من أجل المصلحة، وإلا فالباري جل شانه يقول في غير موضع من التنزيل: ﴿**ولاتزر وازرة وزر أخرى**﴾، ويقول عن العبد الصالح ﴿**معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون**﴾ وقالت الصديقة **عائشة** لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لنعهن المساجد أو ما يقرب منه، وقال ابن **عبدالسلام** لله أحكام تحدث عند وجود اسبابه، وقال بعض الأئمة يحدث للناس من الأحكام بقدر ما أحدثوا من الفجور، وقال بعض متأخري الشافعية: الشرع مبني على درء المفاسد وجلب المصالح، بل لو كان حكم شرعي يخالف العادة ترك للعادة سداً للذريعة المؤدية إلى الشقاق والعداوة التي لاينقطع بابها إذا فتح ولا ينسد.

ولئن كنت ناقشته في بعض كتبي الفقهية لتقيدي في الفتوى بمنقول المذهب فلا بأس أن أستدل به هنا للاستصلاح، لفرق ما بين الجهتين لاسيما وقد رجحه علامة اليمن الحبر البدل شيخ شيخنا[1] السيد **عبدالرحمن بن سليمان الأهدل** فيما ذهب إليه من تقوية كلام العلامة **ابن زياد** في نفس الموضوع، وقال كثير من العلماء كالحنفية بالاستحسان، وفسر بدليل ينقدح في نفس المجتهد تقصر عنه عبارته، وفسر أيضًا بعدول عن الدليل إلى العادة للمصلحة، ومن المقرر بين الأصوليين - حتى في

---

(١) أنا أخذت عن الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر، وقد مات سنة ١٣١٤هـ، وأنا على تمام الرابعة عشر من عمري، وقد أخذ عن السيد عبدالرحمن بن سليمان المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، وعمر الأستاذ الأبر ذاك اربعة عشر عاماً، وقد صرح بأخذه عنه في مواضع من كتابه عقود اللآل.

المتون ـ جواز التخصيص بالعقل، ولـيس الاستصلاح عند مصادمة الدليل إلا من ذلك القبيل، وعلى خاطري أن بعض الصحابة أحرم بصلاة المغرب فانفلـتت راحلته فذهـب وراءها حتى ردها وعقـلها فعاد إلى مـكانه وأتم صلاته فقيل لـه فقال: أأدع ناقتي تضيع وأنا شيخ ضـعيف؟ ولقد غزوت مع رسول الله ﷺ كذا وكذا غـزوة فرأيت من تيـسيره ما يتسع لأكـثر من عملي هـذا أو ما يقرب من هذا أو ما هـذا نخيله، وهو من الـثابت وقد ذكرته في بعض كتبي ولكني لا أدري أين مكانه الآن. فترى هذا الصحابي رضوان الله عليه تجاوز النصوص الخـاصة في منع الأعمال في الصلاة إلى الدليل العام من التيسير، ولكل ما فـعله مبرر من الفقة عندنا إلا عوده إلى مكانه الأول إن ثبت، وإلا فقد قال في التحفة من أخذ له مال في الصلاة لايجوز له أن يبقى فيها ويتبعه ويصليها صلاة شدة الخوف على الأوجه بل يقطعها ويتبعه إن شاء.

ومقـابل الأوجـه الجواز وهو مما يسوغ الـعمـل به في حـق النـفس والشريعة كما سبق مبنية علـى حفظ المصالح ودرء المفاسد. فليس الأستاذ عزام بالأوحد في هذه الطريقة ولكنها المهيع الواضح والسبيل العظيم، وقد أطلت القول في ذلك لبعض المناسبات التاريخية في كتابي "**بضايع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت**"[1] المنوي تقديمه للطبـع بهمة الشاب الفاضل الأديب عبدالله عمر بلخير، ونسيت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكر فيه ما

(١) الكتاب مؤلف ضـخم في تاريخ حضرموت يزيد عـن ألفي صفحة، لم يطبع ـ لـلأسف ـ إلى اليوم رغم مضي مـا يقرب من نصف قـرن على تأليفـه، ولا يزال محفوظاً لـدى ورثته يستصـرخ الهمم والضمائر العلمية الحية.

يصلح لأن يـكون أكبر شاهد للاستـصلاح وهو قوله جل ثـناؤه في سورة الأحزاب **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾**. إذ لو لـم يضمن دينه حماية العدل والنظام إلى يوم البعث والقيام بقبوله للمصالح، لمـا انقطعت النبوة، ولبقيت الحاجة شديدة إليها، لكنها انـتهت فلم يبق للرسالة معنى بعد انـقضائها؛ لأن هذا الدين المتين ملائم لكل زمان ومكان، وإن اخـتلفت الأحوال واضطربت الأمور، وارجحنت الفتن، وتقلبت الظروف، وتباينت المؤثرات فلا حاجة مع لطف مرونته واتساع صدره وغزارة مواده وفضيلة قـابليته إلى قانون سواه يتجدد لحفظ النظام ونـفع الأنام مع مسايرة الأيام. ومن هذا تعرف بـديع مناسبة الفاصلـة؛ لأن العلم واسع لن يـضيق بأية حادثـة تعرض له في مسـتقبل الزمان وإن انقطع سلاها واطلخم دجـاها، ولذا كان سهم بن الخطاب هو الصايب وفكره هو الثاقب وحزمه يطـبق المفاصل، وكثيراً ما يصف الباري نفسه في الفواصل بأنه واسع عليم وواسع حكيم، أفتضيق تلك السعة التي بالـغ فيها الـتنزيـل عن مصلـحة كلـية إزاء دليل جـزئي محـتمل لـنفوذ التخصيص إليـه بالمنفصل من كل ناحية؟ لا واللـه، فإن هذا ما لا يكون، ولئن فاتني هذا الـدليل في كتابي بضايع التابوت فلـم يكن لدى بضائع إذ كم عـالجت بـه من مريـض وتعـرضت له فـي النـشر والقـريض وكـررته بالتصريح والتعريض، حتى لقد قلت مـن القصيدة النبوية التي أنشأتها في سنة ١٣٦٠هـ على نهج البردة الشريفة:

وما بغير الذي تقضي شريعته	للناس منجى من الأرزاء والغمم
إذ لا يوازيه دين في عدالته	ولم يكن مع إصلاح بمصطدم
أما شريعة عيسى فالنجاة بها	مع التمدن شيء غير ملتئم

والله جل شأنه يقول: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾، ويقول: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾. وهل يمكن مع تقدم الطب بهذه الأيام أن يتأخر الطب الذي بعث به عليه السلام أو أن يعجز عن مكافحة بعض الآلام؟ كلا إنه لينقطع دون هذا الكلام، لكن الجمود حجاب، وداعي التقليد الأعمي لايجاب، وإنما يستحق الفهم كما في آية سليمان الإعجاب، وبعض هذا كان للإلزام بما قاله الشيخ عزام، ولئن لم نطلع على رسالته بحذافيرها فقد أنبأتنا تلك الجمل بأخابيرها، والله أعلم.

قال وأملاه خادم العلم ابن عبيدالله في ٥ القعدة سنة ١٣٦٦هـ.

★★★★★

المعاهد الدينية في حضرموت وأثرها في الحياة الثقافية [١]

للأستاذ : علوي عبدالله طاهر [٢]

ارتبطت الحياة الثقافية في حضرموت بعلماء الدين وازدهرت بازدهار المعاهد الدينية التي كانت منتشرة في معظم مدن حضرموت، فقد كانت مدن حضرموت مشهورة بكثرة مساجدها ومعاهدها الدينية وأربطتها وكتاتيبها مثل: تريم وشبام وسيؤن والهجرين والشحر وغيل باوزير ودوعن وعمد وقيدون والغرفة والحوطة.. وغيرها.

وكانت زوايا التعليم ومواضع التدريس في مطلع القرن العشرين في حضرموت كثيرة، يرتادها الطلبة لدراسة علوم الفقه والنحو والحديث والتفسير والفرائض.. وغيرها من العلوم الدينية.

وكانت هذه الزوايا أو المعاهد تنسب إلى القائمين بالتدريس فيها أو إلى مؤسسيها أو إلى المسجد الذي توجد فيه.

وكان يوجد في هذه الزوايا أو المعاهد أو الأربطة أساتذة أجلاء من علماء الدين الذين انقطعوا للتدريس ونشر العلوم الدينية، فكانوا يعقدون الحلقات في المساجد أو المعاهد الدينية أو في البيوت أو الأربطة.

---

(١) مجلة (الإكليل) اليمنية، الأعداد ١، ٣، ٤ - ١٩٨٨م، صنعاء.

(٢) علوي عبدالله طاهر - كاتب وباحث يمني معاصر، يعمل أستاذاً بكلية التربية جامعة عدن، له عدة ابحاث ومؤلفات مطبوعة ومخطوطة في التراث والتاريخ اليمني وخاصة وجهه الثقافي.

وكانت هذه المعاهد ينقصها النظام والتخطيط السليم، وهي متخصصة بتدريس العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والمنطق والفرائض والحساب والفلك والميقات والعروض وعلم النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع.. وغيرها، ولايتجاوز التعليم فيها المراحل المتوسطة إلا في المعاهد الشرعية كالأربطة التي توصل طلابها إلى مستوى عال من الثقافة والعلوم الدينية، لا يقل مستواهم عن مستوى خريجي الجامع الأزهر الشريف في القاهرة.

وحول مستوى هذه المعاهد يحدثنا الأستاذ المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري قائلا:

«ولا نغالي إذا قلنا إن كثيرين من خريجي المعاهد الشرعية الحضرمية يفوقون علماء الأزهر الشريف في فقه الشافعي والتاريخ الإسلامي وفي النحو والصرف، وهي الفنون التي كثيراً ما يتخصص فيها علماء حضرموت»[1].

وكان الطالب في هذه المعاهد ملزمًا بحفظ واستظهار بعض المتون والرسائل الصغيرة والمنظومات العلمية مثل: «التنبيه والمنهاج والإرشاد والحاوي والشاطبية والجزرية، وألفية العراقي في أصول الحديث والفقه، وألفية ابن مالك في النحو، والملحة والقطر والأجرومية والأربعون النووية.. وغيرها»[2].

(١) محمد بن احمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢١٢).

(٢) سعيد عوض باوزير، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص ٩٠.

وانتشرت بينهم كتب التفسير والفقه والحديث والفلسفة.. وغيرها، مثل: «تفسير **البغوي والبيضاوي** والصحيحان **للبخاري ومسلم** وسنن أبي داود و**الترمذي** و**النسائي** و**ابن ماجة** والأربعون النووية والشفاء للقاضي عياش وشرحه، وجامع المختصرات **للنسائي** وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي وقوت القلوب **لأبي طالب المكي**، وعوارف العوارف للسهروردي»[1].

وكان علماء حضرموت مولعين بكتب الغزالي كالاحياء والبسيط والوسيط والوجيز، ويكررون قراءتها المرة بعد الأخرى، وينسخونها بأيديهم ويحتفظون بنسخ منها في مكتباتهم، وكان بعضهم يهتم بقراءة كتب **ابن عربي**. وحرصًا على سلامة عقيدتهم وإبعادهم عن السلوك التي قد توحي بها بعض عبارات كتب الصوفية الغامضة كانوا لايسمحون للمبتدئين بقراءتها.

وكان بعض علماء حضرموت قد اعتادوا السفر إلى خارجها فقاموا برحلات إلى بعض المدن اليمنية، مثل: عدن وتعز وزبيد وغيرها، والتقوا بعلمائها واستفادوا منهم وأفادوا، كما رحلوا إلى خارج اليمن وسافروا إلى مكة والمدينة وظفار والهند وبلدان السواحل الأفريقية، ورحل بعضهم إلى القدس والشام ومصر، والتقوا بعلمائها، ودرسوا على أيديهم وأخذوا منهم الإجازات الخاصة بالإفتاء والتدريس وكانوا في رحلاتهم يجلسون للتدريس. والإفتاء، ويتصدرون لمناظرة العلماء والبحث معهم، كما اتصل

(١) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

بعضهم بالملوك والوزراء وكبار رجال الحكم في البلدان التي زاروها.

وكانت الكتب في حضرموت غالية الثمن وشحيحة فاضطر المتعلمون إلى خطها بأيديهم، وكانوا يعتمدون على الخطاطين الذين كانوا يطلبون أجوراً مرتفعة مقابل كل كتاب يخطونه، فأدى ذلك إلى بروز عدد من الخطاطين.

وظهر في حضرموت بعض الخطاطين المحترفين الذين امتهنوا مهنة الخط، كما ظهر فيها بعض ممتهني التجليد مما يدل على حاجة الناس إلى الكتبة والخطاطين لينسخوا لهم الكتب أو المصاحف.

وكان الخط السائد في حضرموت هو خط النسخ الذي كانوا يكتبونه بالحبر الأسود الذي يصنع محليًا، أما الورق على اختلاف أنواعه فيستورد من الخارج[1].

أما الفنون التشكيلية فلم تجد أي اهتمام لأن علماء الدين في حضرموت لم يسمحوا بذلك، وكانوا يحرمون الرسم والتصوير والنحت، وكذلك الحال بالنسبة للموسيقى إذ كانوا يحرمون الغناء والموسيقى، وفي مقابل ذلك انتشرت الأناشيد الدينية والتواشيح التي تتغنى بالرسول الكريم محمد ﷺ وبأولياء الله، كما ظهر نوع آخر من الغناء المحلي الذي يعتمد على الضرب بالدف والنفخ على الشبابة.

لقد كانت الثقافة في حضرموت محصورة في أمور الدين والفقه والشريعة الإسلامية والتصوف، وكان جل اهتمام المثقفين حينذاك الإلمام

(1) المرجع السابق، ص ٩٨.

بالتعاليم الدينية لأداء الشعائر الإسلامية، ومعرفة أساليب المعاملات بمقتضى هذه التعاليم، وكان الناس يتلقون هذه التعاليم عن طريق حلقات الدرس العامة التي تعقد عادة في المساجد والمعاهد الدينية، أو من الوعاظ والمرشدين الذين كانوا يغشون المجتمعات التي يحتشد فيها الناس لأداء الصلاة أو الاحتفال بالمناسبات والأعياد الدينية، وكان هؤلاء الوعاظ والمرشدون يحثون الناس على التحلي بالأخلاق الفاضلة ويدعونهم إلى الالتزام بالحدود الشرعية في سلوكهم ومعاملتهم ويذكرونهم بالله واليوم الآخر، ولم تتجاوز الثقافة بحال من الأحوال هذه الحدود.

أما في وادي حضرموت وقراها النائية - حيث لم يصل إليها العلماء والوعاظ والمرشدون - فقد ظلت محرومة من أي نشاط ثقافي، وكان الناس في القرى والبوادي يجهلون أبسط القضايا، بما في ذلك مبادئ الدين الإسلامي الأساسية.

وبالنسبة للمرأة فقد كانت بعيدة كل البعد عن الثقافة والعلم إلا فيما ندر، وفي حدود ضيقة، لاتتعدى الواجبات الدينية المتصلة بالصلاة والصوم والأمور المتعلقة بالحيض والنفاس والطهارة.. وغيرها. وكانت معارف المرأة - حتى في هذه الأمور - محدودة، وتتلقاها - عادة - مشافهة عن الأب أو الأم أو الزوج أو أحد الأقارب، أو تسمعها من بعض المعلمات التي انحصرت معارفهن في حدود ضيقة من المعارف الأولية في أثناء حضورهن بعض الحلقات اللاتي كانت تخصص للنساء في المساجد، أما معارفهن في القراءة والكتابة فكانت معدومة، إذ لم يكن للمرأة من

التعليم أي نصيب، فظلت تجهل القراءة والكتابة طوال حياتها.

ولقد استطاعت المعاهد الدينية في حضرموت أن تخرج العديد من الوعاظ والمرشدين الدينيين وخطباء المساجد والقضاة الشرعيين من ذوي الثقافة الدينية الخالصة، ومع ذلك نبغ منهم بعض العلماء والأدباء المشهورين. ويرجع نبوغهم إلى خروج بعضهم إلى خارج حضرموت، وهجرة بعضهم إلى مناطق مختلفة من العالم، حيث التقوا في مهاجرهم بالعلماء والأدباء والمفكرين والمصلحين الاجتماعيين، فأخذوا عنهم علومهم وتأثروا بهم وبأقطارهم، وعندما عادوا إلى بلادهم حملوا معهم رايات الإصلاح والدعوة إلى التعليم وتطوير الثقافة ومحاربة العادات والتقاليد الاجتماعية الضارة التي تتنافى ومبادئ الدين الحنيف.

وسعى هؤلاء العلماء العائدون وغيرهم إلى حث المواطنين على بناء المدارس، وشجعوهم على التبرع بسخاء لصالح تطوير التعليم، وتزويد المدارس بمحتاجاتها، وعملوا على توعية المواطنين وحثوهم على الحاق أبنائهم بالمدارس، فأرسوا بذلك البدايات الصحيحة الأولية للنهضة الثقافية الحديثة في حضرموت.

وشرع هؤلاء العلماء يساندهم بعض الشباب في تنظيم الحلقات العلمية في المساجد والمعاهد الدينية وعملوا على تطوير الأربطة، ودفعوا الناس لحضورها وسعوا لجمع التبرعات من التجار في الخارج، وأشرفوا على تصريف أموال تلك التبرعات للمشاريع الخيرية بما في ذلك التعليم، وكانوا يمنحون معونات مالية للطلاب الذين يتفرغون للدراسة، ويقدمون

بعض المساعدات لرواد الحلقات العلمية ومكافآت للمدربين فيها. فأحس الناس بأهمية التعليم وبدأوا يتذوقون طعم العلم، وشعروا بأهمية الثقافة، فاقبلوا على القراءة ورغبوا في تطوير مداركهم فاقتنوا الكتب ونسخوا المخطوطات، وقرأوا الصحف التي كانت تصلهم من المهاجرين في الخارج، وتعرفوا من خلالها على الأحداث العالمية، فتفاعلوا معها وتأثروا بها وتابعوا ما حصل في العالم من تطورات، وبدأوا يطالبون السلطات المحلية في السلطنتين: القعيطية والكثيرية، بإدخال الإصلاحات الضرورية، ويضغطون عليها من أجل فتح المزيد من المدارس والاهتمام بالعلم والثقافة.

وعندما يئس المصلحون من تجاوب السلطات المحلية مع مطالبهم، اعتمدوا على أنفسهم والشعب معهم في إصلاح ما يمكن إصلاحه، فشرعوا في تأسيس عدد من النوادي الاجتماعية والجمعيات الخيرية، ليتمكنوا من خلالها من تنظيم الجهود، وتوجيه الأعمال الخيرية لما فيه منفعة الناس ومصلحة المجتمع.

ومن أشهر تلك الجمعيات (جمعية الأخوة والمعاونة) في تريم، و(نادي الشباب الثقافي) في المكلا وسيؤن. ومن أجل إبراز نشاطات بعض تلك النوادي والجمعيات يمكننا أن نفصل القول بعض الشيء في الحديث عن (جمعية الأخوة والمعاونة). كنموذج لبعض النشاطات.

جمعية الأخوة والمعاونة بتريم :

تأسست «جميعة الأخوة والمعاونة» في مدينة تريم عام ١٣٤٨هـ

١٩٢٩م، وأسسها عدد من المتعلمين برئاسة محمد بن أحمد الشاطري،

أهدافها:

١ - بث روح التعاون بين أفراد الأمة، ورفض التحزبات وكل ما يؤدي إلى الافتراق والشقاق، والعمل على تكوين روح قوية في الشباب.. تدفعهم إلى القيام بواجبهم نحو الدين وحيال الوطن، وذلك بواسطة الدعاية الصحيحة عن طريق النشر والخطابة والوعظ في المجتمعات، وتيسير أسباب تنوير الأفكار وتثقيف العقول بتحفيز الناس على قراءة الكتب والصحف المفيدة بحسب مواتاة الوسائل المادية والأدبية.

٢ - بذل الجهد في تربية النشء التربية الكافية بنيل الأغراض والأخذ بتسليحهم بالعلوم والمعارف التي لابد منها للفوز في معترك الحياة، وتحصل السعادة للفرد والمجتمع في المستقبل القريب والبعيد بفتح المدارس، وإرسال البعثات إلى الخارج لتلقي العلوم والفنون.

٣ - نشر التعاليم الإسلامية والآداب الدينية والثقافية ومشاركة القائمين بذلك وجمع التبرعات والاكتتابات المالية التي تحتاج إليها.

٤ - جعلت الجمعية تأسيس مقاصدها وأغراضها على الجمع بين المطالب الدينية والدنيوية.

٥ - إنشاء مؤسسات اقتصادية يقوم بأعبائها الصالحون للأعمال من رجال الجمعية وغيرهم، وإيجاد وظائف لتوظيف العاطلين من أبناء الوطن.

٦ - إصدار صحف سائرة (جرائد ومجلات) لتكون لسان حال

الجمعية ومنبراً من منابر دعايتها القائمة على نشر الهداية الإسلامية، وتوسيع مدى الثقافة في حضرموت(١).

لقد قامت الجمعية في بادئ الأمر على أيدي بعض طلبة المعاهد الدينية بدافع من الحماس الديني والوطني، وزاولت نشاطاتها في البداية بصورة سرية اتقاءً لما كانوا يتوقعونه من اصطدامات فيما بينهم وبين الأغلبية الساحقة من الشيوخ والشبان الجامدين المتحجرين والمتعصبين، فيثيرون السلطة عليهم فتأمر بالقضاء على الجمعية أو توقف نشاطها وهي لازالت في مهدها.

واستمرت الجمعية تعقد جلساتها في الخفاء لعدة سنوات وتهيئ الفرصة لنفسها للظهور العلني حتى عام ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) حين أعلنت قانونها الأساسي ثم وزعته مجانًا بعد طبعه، وفتحت لها مركزاً في مدينة تريم، وشرعت تطبق أهدافها شيئًا فشيئًا.

وقد واجهت الجمعية في بداية إعلانها معارضة شديدة من بعض المتعصبين، فأشاعوا حولها الشائعات فاتهموها بأنها تسعى لنشر بعض المذاهب المتطرفة، وتعمل لترويج البدع والضلالات، واستعدوا السلطة عليها لغرض إيقاف نشاطها.

نشاطاتها الثقافية:

ومن النشاطات الثقافية التي ساهمت فيها الجمعية أنها عملت على نشر الوعي الثقافي، وحث الناس على التعليم بمختلف الوسائل الملائمة

(١) من بيان أصدرته جمعية الإخوة والمعاونة بتريم عام ١٣٦٨ هـ، ص ٩، ١٠.

لعقول الناس حينذاك في مجتمع محافظ شديد التعصب للقديم يرفض أي جديد، فكانت تنبه الرأي العام من مخاطر بعض العادات والتقاليد القديمة التي تعرقل تقدم المجتمع، وتعمل على نشر الأفكار الجديدة، وتعمم المعلومات المتعلقة ببعض الأمراض الاجتماعية المختلفة.

ومن أجل تحقيق أغراضها اتبعت عدداً من الوسائل، مثل:

أ - تقديم دروس خاصة بالأعضاء لتكميل معلوماتهم واعدادهم للقيام بواجباتهم.

ب - إنشاء مدرسة ابتدائية للبنين وأخرى للبنات ومحاولة محو الأمية.

جـ - إرسال وفود وبعثات لنشر الوعي والثقافة بين الناس في المدن والقرى المختلفة، إلى جانب إرسال بعثات طلابية إلى الخارج للدراسة.

ومن أبرز الإنجازات التي حققتها الجمعية في المجال الثقافي مايلي:

١ - في عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٢م) افتتحت الجمعية مدرسة ابتدائية مجانية في تريم، تولى أعضاؤها التعليم فيها، وسعوا إلى نشر التعليم الحديث فيها، وبدأوا في إدخال بعض المواد التطبيقية والفنية والرياضية.

٢ - في عام ١٣٥٩هـ (١٩٣٩م) افتتحت الجمعية مدرسة وسطى في تريم، وضعت لها مناهج دراسية مقتبسة من مناهج مصر والعراق، وجعلت الدراسة فيها أربع سنوات يلتحق فيها من يتخرج من المدرسة الابتدائية السابقة، وقد تولى التدريس في هذه المدرسة أساتذة قديرون.

وكانت تلك المدارس ترمي إلى تخريج طلبة قادرين على مواصلة دراستهم

والالتحاق بالمدارس الثانوية والجامعية في مصر أو العراق أو سوريا، أو غيرها من الأقطار العربية، بالإضافة إلى إيجاد متعلمين يلبون حاجة البلاد حينذاك ليؤدوا دورهم في نشر الوعي والثقافة.

ورغم ظروف الحرب العالمية الثانية ظلت المدرستان تؤديان دورهما في التعليم حتى نهاية الحرب، وقد تخرج من هذه المدارس عدد من المتعلمين الذين كان لهم الفضل في تثبيت دعائم النهضة التعليمية والثقافية الحديثة في حضرموت، من مواقعهم التي شغلوها، وقد عمل بعضهم في مهنة التدريس لسنين طويلة، والبعض الآخر عملوا في الدوائر الحكومية المختلفة واستطاع بعضهم أن يواصلوا دراساتهم في الخارج، فعادوا بعدها حاملين شهادات جامعية من أمثال: علي عقيل بن يحيى، وكرامة مبارك سليمان.. وغيرهما. ثم توالت البعثات التعليمية إلى الخارج بعد ذلك كل عام.

وفي ٢٤ محرم ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) افتتحت معهداً خاصاً لتأهيل الطلبة الذين يراد ترشيحهم للعمل في مهنة التدريس أسمته (معهد المعلمين) لغرض تخريج معلمين للعمل في المدارس الابتدائية.

وفي ٢٥ شعبان ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) أسست الجمعية في تريم مجلساً خاصاً للتدريب على الإفتاء الصحيح في الفقه وتأهيليهم ليكونوا قضاة شرعيين صالحين، وكان على رأس هذا المجلس أحد علماء الدين الذي ترشحه الجمعية مهمته تقبل استفسارات المواطنين في مختلف المسائل الدينية والفقهية والشرعية ثم يتولى تقديمها إلى الأعضاء لأخذ آرائهم ومعرفة قدرتهم على الإفتاء الصحيح، ثم يتولى تصحيح أجوبتهم

وعرضها عليهم ليعرفوا أخطاءهم.

وقد أحدث هذا المجلس أثرًا كبيرًا في الحياة الثقافية في حضرموت، إذ أتاح لأعضائه فرصة اللقاءات وتبادل الآراء في العديد من المسائل الفقهية والشرعية.. وغيرها.

وقد يجرهم الحديث إلى تناول بعض القضايا ذات الصلة المباشرة بحياة الناس ومعاناتهم اليومية، وكان بعض أعضائه يقرؤون الكتب ويناقشون بقية الأعضاء في مضامينها، وكان منهم من يكتب الحواشي ويشرح المتون، ومنهم من يؤلف كتبًا خاصة بالإفتاء أو في النحو أو في الفلك أو في الشريعة أو اللغة.. أو غيرها.

نادي الشبيبة المتحدة:

كما أسست الجمعية ناديًا ثقافيًا في تريم أسمته (نادي الشبيبة المتحدة) انتظم في سلكه عدد من أدباء تريم وشبابها، وساهم النادي في نشر الثقافة والأفكار الجديدة.

وكانت الجمعية والنادي يحييان الحفلات التي تقام في المناسبات المختلفة، وفيها يلقي العلماء والأدباء ورجال التاريخ واللغة والكلمات، فيتحدثون في مسائل كثيرة كل واحد منهم في مجال تخصصه، وكانوا يتبادلون المعلومات في مختلف مجالات العلوم، ويلقون المحاضرات والمواعظ والخطب على المواطنين لغرض توعيتهم وتوجيههم.

كما كانت تحيي الاحتفالات الدينية والوطنية والقومية، وحفلات الترحيب بالقادمين إلى تريم من كبار العلماء، كالحفل الذي أقيم في ٩

جمادى الثانية ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) بمناسبة زيارة وفد الجامعة المصرية لمدينة تريم، كما أحيت حفلات توديع لبعض أعضائها كالحفل الذي أقيم في وداع رئيسها **محمد بن أحمد الشاطري** عند سفره إلى سنغافورا في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م).

كما أحيت حفلات تأبين لبعض الزعماء العرب ومشاهير العلماء والأدباء.. وما إلى ذلك.

وكانت (جمعية الأخوة والمعاونة) قد اشترت مطبعة خاصة بها ساعدتها على إصدار نشرات متعددة في مختلف المجالات الاجتماعية والأدبية.. وغيرها.

كما طبعت فيها بعض المنشورات التي كانت تدعو لمحاربة بعض العادات الاجتماعية الضارة، وقد أتاحت هذه المطبعة الفرصة لبعض الموهوبين في الشعر أو النثر من نشر بعض أعمالهم الأدبية، وكانت المطبعة بدائية من نوع (الرونيو). وفيها كانت تطبع مجلة (الإخاء) التي كانت اللسان المعبر عن حال جمعية الأخوة والمعاونة والمتنفس الوحيد للأدباء والكتاب والمثقفين حينذاك في تريم.

وقد نشرت مجلة (الإخاء) في عددها الرابع الصادر في أواخر سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) ما يلي:

«ألفت جمعية الأخوة والمعاونة لجنة تسعى في كل ما يتمكن تحصيله إعانة لمجاهدي فلسطين.

ووزعت منشورًا أفاضت فيه بشرح الحالات العصبية التي يلاقيها

أولئك المجاهدون البواسل».

وهذا يعني أن نشاط الجمعية كان يتجاوز حدود حضرموت ليمتد نشاطها إلى خارج اليمن سواء بين أوساط المهاجرين أو الطلاب الدارسين في الخارج أو غيرهم، وكانت على اتصال مباشر ومستمر بالمهاجرين في كل من بلدان جنوب شرق آسيا أو في شرق أفريقيا.. أو غيرها.

وكان مندوبو الجمعية يسافرون إلى تلك البلدان بين الحين والآخر، وفي السفر ثقافة واكتساب معارف وخبرة، وعند عودتهم كانوا يحضرون معهم بعض الصحف والمجلات أو الكتب، وعلى وجه الخصوص، صحف المهاجرين اليمنيين، وكانوا يراسلون تلك الصحف وينشرون فيها بعض هموم ومعاناة الشعب، وبعضهم كان مشتركًا في تلك الصحف أو مراسلاً لها، إذ كانت تصل إليهم بانتظام مع العائدين إلى أرض الوطن بين الحين والآخر، وكان الناس يتبادلون قراءتها بشغف شديد؛ لأن معظمها تتناول قضايا الناس في حضرموت وغيرها، وكانت بعضها تعالج القضايا السياسية والاقتصادية وأيضًا الاجتماعية، إلى جانب اهتمامها بنشر بعض الأعمال الإبداعية الأدبية من شعر ونثر لأدباء يمنيين.

نادي الشباب الثقافي بالمكلا :

وعندما شعر الناس في حضرموت بأهمية العمل الجماهيري، ولمسوا النتائج الإيجابية لنشاط جمعية الأخوة والمعاونة، بادروا في إنشاء العديد من الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية، فشرعوا بتأسيس (نادي الشباب الثقافي في مدينة المكلا، الذي أعلن عن افتتاحه رسميًا في ٨

فبراير عام ١٩٥٧م، الموافق ٨ رجب ١٣٧٦هـ). بهدف تحقيق عدد من الأغراض الاجتماعية والثقافية، أهمها: تهيئة الأجواء الملائمة لنشر الثقافة وتنمية الوعي عند الناس[1]. وكانت العضوية في النادي مفتوحة لكل متعلم وصل من العمر خمسة عشر عامًا[2]. وقد قسمت عضوية النادي إلى ثلاث فئات هي:

١ - عضو فخري.

٢ - عضو منتسب.

٣ - عضو عامل.

وكان الأعضاء العاملون هم العماد الفقري للنادي، أما الأعضاء المنتسبون فكان دورهم ثانويًا يقتصر على تقديم الدعم المادي والمعنوي للنادي، ومعظمهم من رجال الأعمال أو التجار أو بعض المهاجرين الذين يترددون على حضرموت بين الحين والآخر، أما العضوية الفخرية فتمنح لكبار الشخصيات سواء كانوا في السلطة المحلية أم خارجها.

ونتيجة لذلك فقد ضم النادي في عضويته لفيفًا غريبًا من الناس، يتناقضون فكريًا، ويتعارضون طبقيًا واجتماعيًا. بحيث لم يحصل بينهم أي تجانس فكري أو عقائدي، فظهرت في النادي بعض التيارات السياسية المرتبطة ببعض التنظيمات السياسية السرية أو العلنية، ومن هذه التيارات، التيار الديني المرتبط بجماعة (الإخوان المسلمين)، والتيار القومي المرتبط

(١) دستور نادي الشباب الثقافي (المكلا) المادة ٣، ص ١.

(٢) المرجع السابق، المادة الرابعة.

بحزب البعث العربي الاشتراكي أو حركة القوميين العرب، والتيار المرتبط برابطة أبناء الجنوب.

وقد دخل النادي في دوامة من الصراع الداخلي الذي، أدى إلى تعثره في استمرار ممارسة نشاطه، ومن ثم إلى توقفه، إذ لم يُعمَّر أكثر من سنة واحدة فقط، حيث توقف في ٢٢ أبريل ١٩٥٨م [١].

نشاطاته الثقافة:

ورغم هذا العمر القصير إلا أنه استطاع أن يسهم بقدر معين في الحياة الثقافية في حضرموت، فقد تمكن من إقامة عدد من المحاضرات والندوات الثقافية، وتنظيم عدد من اللقاءات الأدبية، كما استطاع أن ينسج نوعًا من العلاقة مع بعض النوادي والجمعيات المناظرة له في بعض مناطق حضرموت والمهجر، وسعى إلى إرسال بعض الطلاب إلى بعض الأقطار العربية من أجل مواصلة دراساتهم بعد التنسيق مع حكوماتها.

ومن الندوات التي أقامها النادي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ندوة حول حياة الصيادين، أقيمت في مقر النادي بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٥٨م. وغيرها من الندوات [٢].

كما أسهم النادي في إنعاش الحركة المسرحية والفنية، من خلال تقديمه لبعض المسرحيات وتنظيمه لبعض العروض الفنية، التي شارك في تنظيمها أعضاء النادي وبعض المواطنين.

---

(١) محمد جبريل، مدينة المهاجرين ص ٤٦، سلسلة كتب قومية، العدد (١٥٥)، القاهرة.

(٢) د. صالح باصرة، النادي الثقافي في المكلا، مجلة الحكمة العدد (١٤٠) يوليو ١٩٨٧م.

وسعى النادي كذلك إلى أقامة مكتبة داخلية تضم عددًا من الكتب والمجلات والدوريات المتنوعة، مما كان لها عظيم الأثر في تسهيل مهمة القراءة للأعضاء الذين كانوا يجدون صعوبة في الحصول على الكتاب أو المجلة.

وكان النادي عند تأسيسه يحظى بدعم ومساندة السلطة القعيطية. فقد تمكنت السلطة من فرض بعض عناصرها في قيادة النادي لكي تتمكن من توجيه نشاطه وفقًا لمشيئتها، غير أنهم اصطدموا بعناصر أخرى من الشباب الرافضين تدخل السلطة في سياسة النادي مما أدى إلى توقيف نشاطه بأمر من السلطة، بعد أن أسهم مع غيره من النوادي والجمعيات في تأهيل المعلمين تأهيلاً علميًا ومسلكيًا ليقوموا بمهام التدريس فيها خير قيام. وعندئذ ظهرت الحاجة لبناء المزيد من المدارس التي تلبي حاجة المجتمع المتزايدة دومًا، فضغط الناس على الحكومات المحلية لإرسال بعض الطلبة الذين كانوا قد تخرجوا من بعض المدارس المتوسطة إلى كلية المعلمين في مدينة (بخت الرضا) في السودان، ليتأهلوا ويتدربوا على أصول التدريس الحديث، ويكتسبوا خبرات ومهارات فنية في طرائق التدريس. . وغيرها من الشؤون التربوية والتعليمية، ليعودوا بعدها مؤهلين ليشغلوا مناصبهم في عملية التدريس والتوجيه التربوي والإدارة في المدارس المختلفة.

وتتابعت البعثات بعد ذلك إلى مدارس أخرى في السودان وبريطانيا، إلى جانب الطلبة الذين كانوا يوفدون للدراسة في كلية عدن بالشيخ عثمان.

وأرسل أيضًا بعض الطلبة إلى بعض الأقطار العربية، أو إلى بريطانيا للدراسة العليا، وعادوا بعدها حاملين شهادات جامعية ليساهموا في الحياة التعليمية والثقافية، وشغل بعضهم مناصب رفيعة في الدولة.

وكان اخريجون الأوائل قد ساهموا مع غيرهم من المتعلمين في تأسيس بعض النوادي الاجتماعية والمراكز الثقافية، واهتموا بقراءة الكتب وأنشأوا المكتبات الخاصة، وراسلوا الصحف وكتبوا فيها، وبرز منهم بعض الأدباء من الشعراء والكتاب. وكثر الاهتمام بقراءة كتب الأدب العربي القديم والحديث، فاحتوت مكتبات بعضهم على مؤلفات الجرجاني والجاحظ ودواوين الشعراء، كالمتنبي والمعري والبحتري وأبي تمام وابن الرومي وشوقي وحافظ ابراهيم وغيرهم. كما اقتنوا كتب القالي والأصفهاني وابن قتيبة وطه حسين والعقاد والمازني وزكي مبارك وغيرهم. كما اهتموا بقراءة شعر الرصافي وإيليا أبي ماضي وعلي محمود طه وغيرهم.

وكانت المسابقات الأدبية تقام بين الحين والآخر، وتقدم فيها الجوائز للفائزين، وفي هذه المسابقات تلقى القصائد والقطع النثرية الأدبية، كما كانوا يقومون بتمثيل بعض المسرحيات الهادفة.

الصحف في حضرموت :

إن ذلك من غير شك قد خلق المقدمات الضرورية للنهضة الثقافية الحديثة في حضرموت، التي ظهرت ثمارها في صدور عدد من الصحف المخطوطة باليد التي كان المثقفون يتداولونها فيما بينهم، ومن تلك

الصحف على سبيل المثال:

* **السيل**: أصدرها **محمد عقيل بن يحيى** في المسيلة، عام ١٩١١م.
* **عكاظ**: أصدرها **عبدالله بن يحيى** في تريم عام، ١٩٢٩م.
* **الحلبة**: أصدرها **علي عقيل وموسى الكاظم** في المسيلة، عام ١٩٤٥م.
* **زهرة الشباب**: أصدرها **حسين بن مسلم السقاف** في سيؤن، عام ١٩٤٤م.
* **التهذيب**: أصدرها **محمد حسن بارجاء**[1] في سيؤن، عام ١٩٣٠م
* **المنبر**: أصدرها **محفوظ بن عُبده** في المكلا، عام ١٩٤٣م.
* **الأخاء**: أصدرها **أحمد زين بلفقيه** في تريم، عام ١٩٤٥م.

ثم صدرت عدة صحف أخرى مطبوعة مثل:

* **الطليعة**: أصدرها **أحمد عوض باوزير** في المكلا، عام ١٩٥٩م
* **الرائد**: أصدرها **حسين محمد البار** في المكلا، عام ١٩٦٠م.

وإلى جانب إصدار الصحف المخطوطة والمطبوعة ومراسلة الصحف الأخرى في عدن أو غيرها، اهتم الناس بتأليف الكتب ونظم الشعر، فظهرت بعض الكتب التاريخية والأدبية والفقهية واللغوية.. وغيرها.

(١) الحقيقة أصدرها وحررها علي أحمد باكثير، وجعل الشيخ محمد حسن بارجاء واجهة لها؛ وذلك لكبر سنه ومكانته الاجتماعية.

المؤلفات والدواوين الشعرية :

وكثرت الكتب التي تتناول شؤون حضرموت في المجالات التاريخية والسياسية والأدبية والثقافية وغيرها. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الكتب التالية :

- **رحلة إلى الثغرين لمحمد بن هاشم.**
- **تاريخ الشعراء الحضرميين: لعبدالله بن محمد السقاف.**
- **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. لسعيد عوض باوزير.**
- **معالم تاريخ الجزيرة العربية:** لسعيد عوض باوزير.
- نسيم حاج: لعبدالرحمن بن عبيدالله السقاف.
- **بضائع التابوت:** لعبدالرحمن بن عبيدالله السقاف.
- **عقود الألماس: لعلوي بن طاهر الحداد.**
- **جنى الشماريخ: لعلوي بن طاهر الحداد.**
- **صفحات من التاريخ الحضرمي:** لسعيد عوض باوزير.
- **أدوار التاريخ الحضرمي:** لمحمد بن أحمد الشاطري.

إلى جانب بعض الكتب الأخرى في العلوم المختلفة.

وصدر أيضًا عدد من الدواوين الشعرية لبعض شعراء حضرموت، نذكر على سبيل المثال:

- **ديوان محمد بن أحمد الشاطري.**

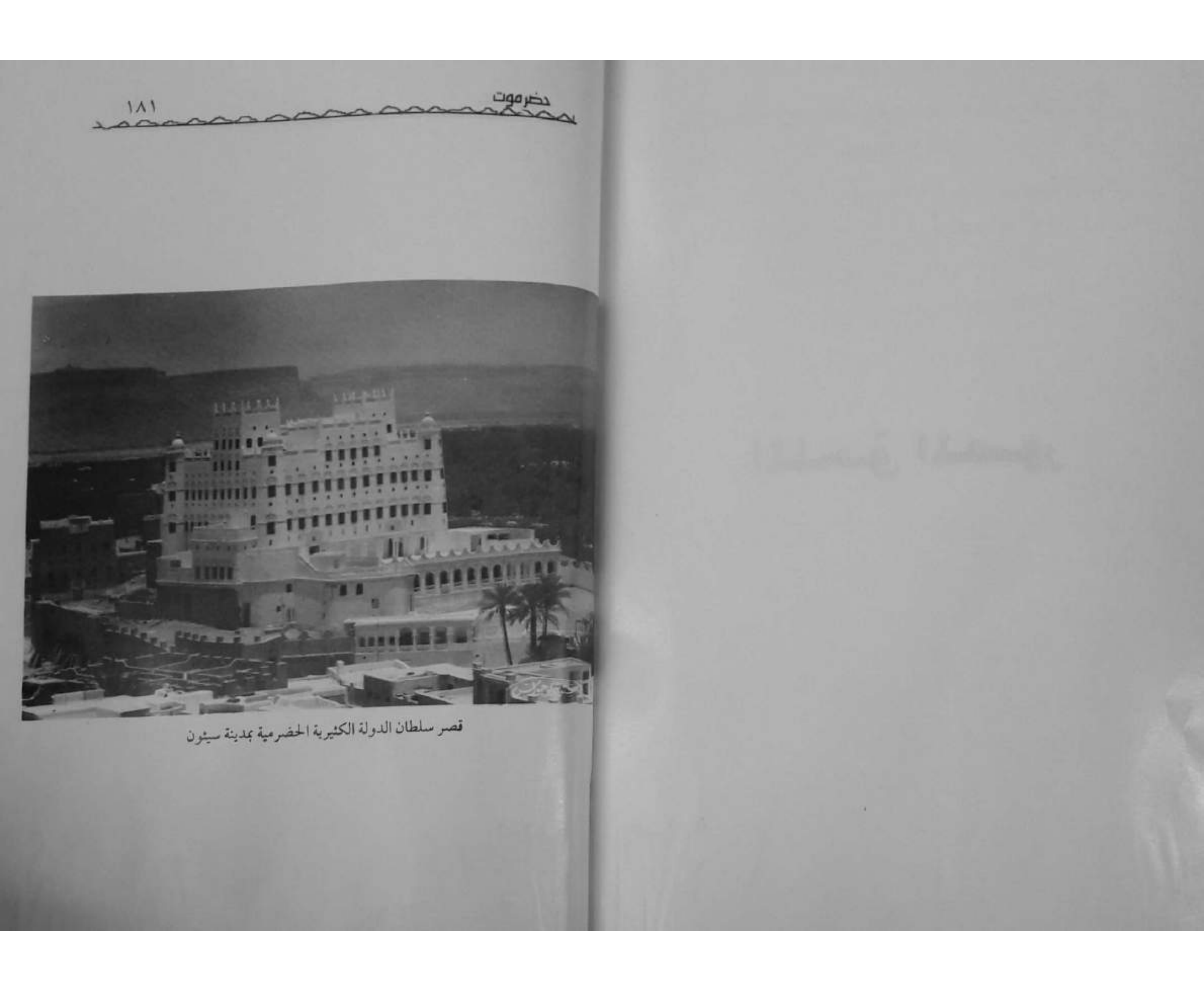
- **ديوان عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف.**
- **ديوان عبدالله بن علوي الحداد، المعروف باسم (الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم).**
- **نسمات الربيع: لصالح بن علي الحامد.**
- **ليالي المصيف: لصالح بن علي الحامد.**

وغيرها من الدواوين الأخرى.

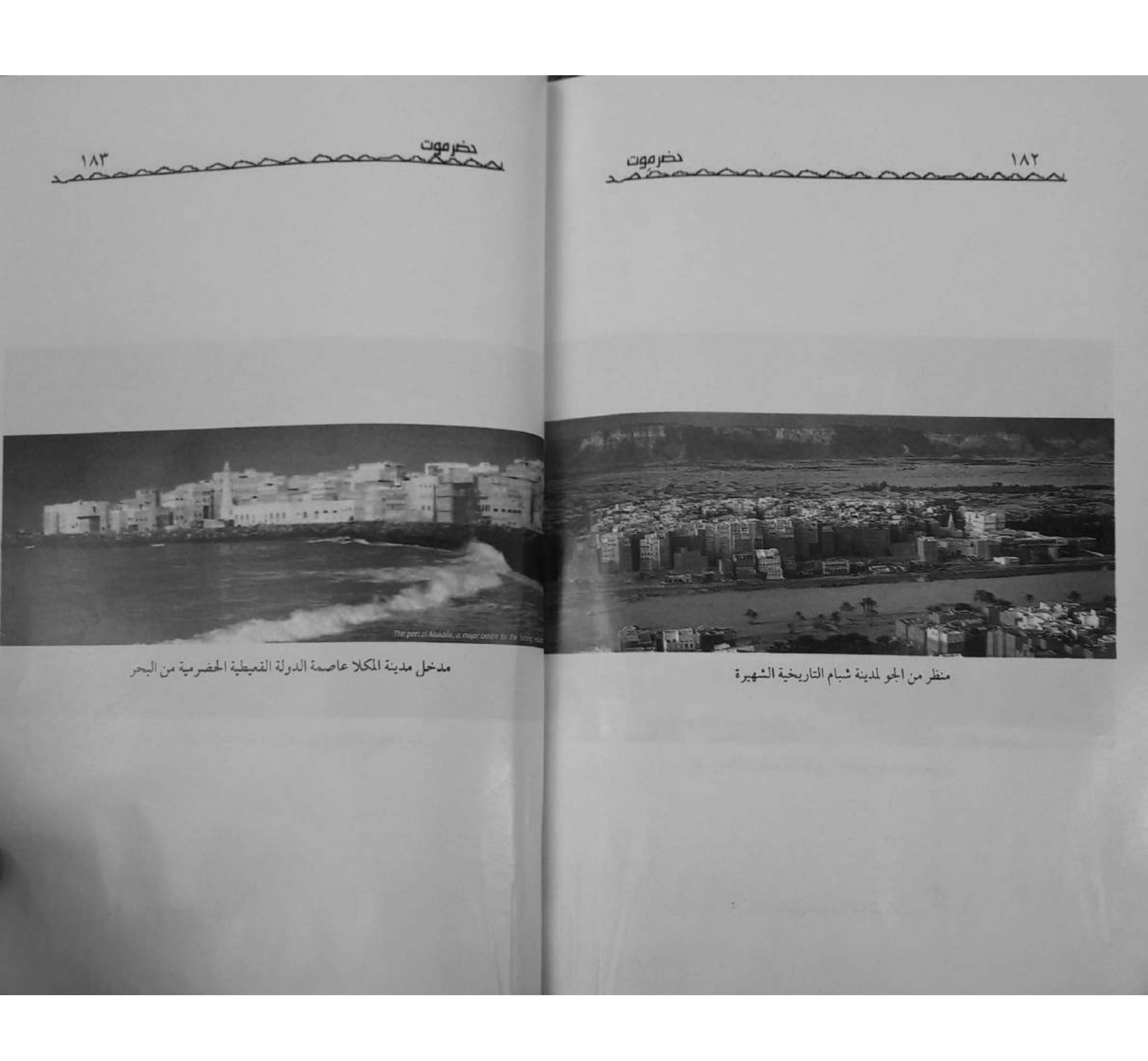
من كل ما سبق يتضح جليًا أثر المعاهد الدينية في حضرموت، وما اتصل بها من جمعيات ومؤسسات خيرية سعت لنشر العلم والثقافة، التي ظهرت نتائجها في الجيل الجديد الذي يتحمل على عاتقه اليوم مسؤولية إعادة صياغة البناء الثقافي وتطويره .

★★★★★

الملحق المصور

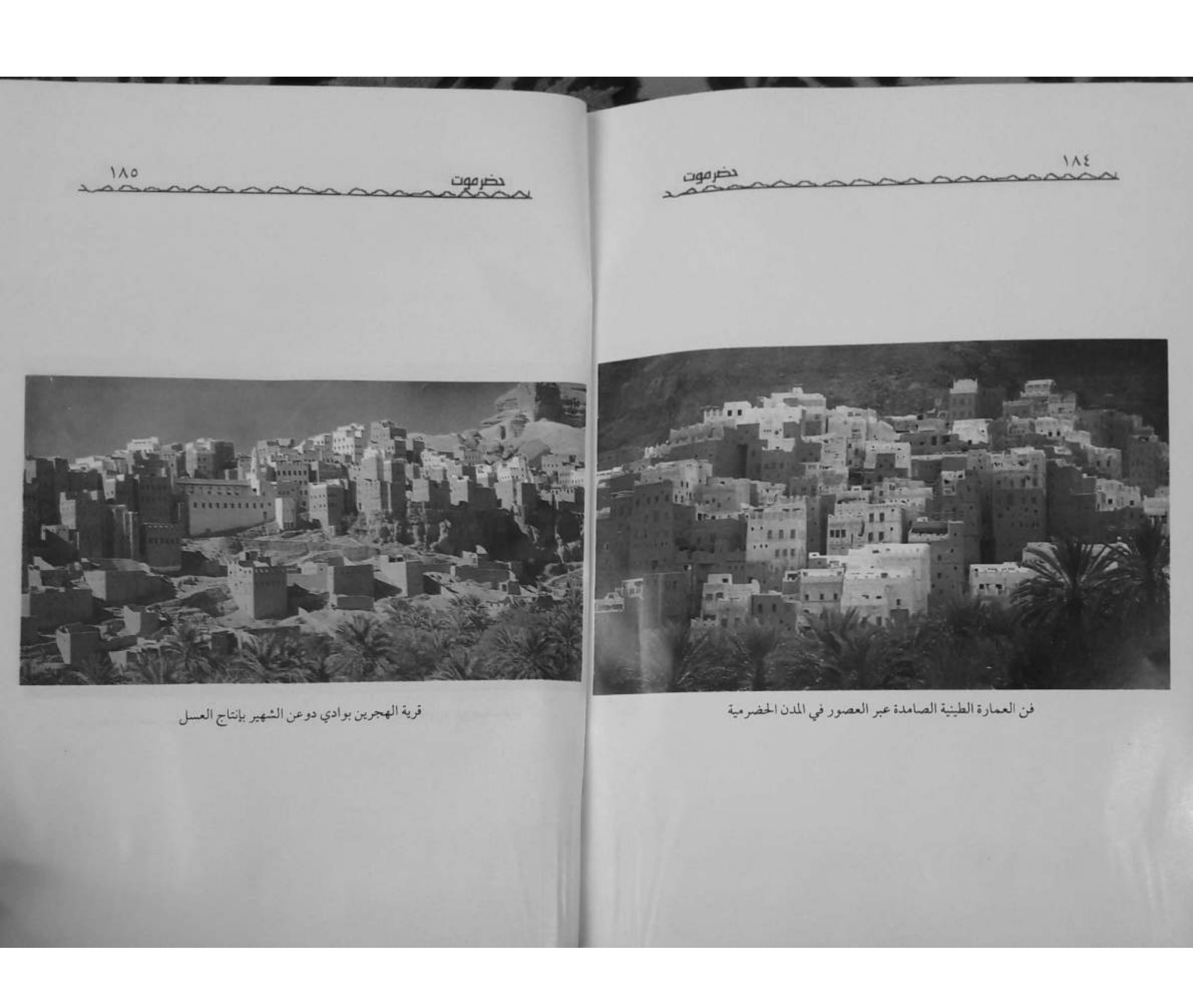


قصر سلطان الدولة الكثيرية الحضرمية بمدينة سيئون



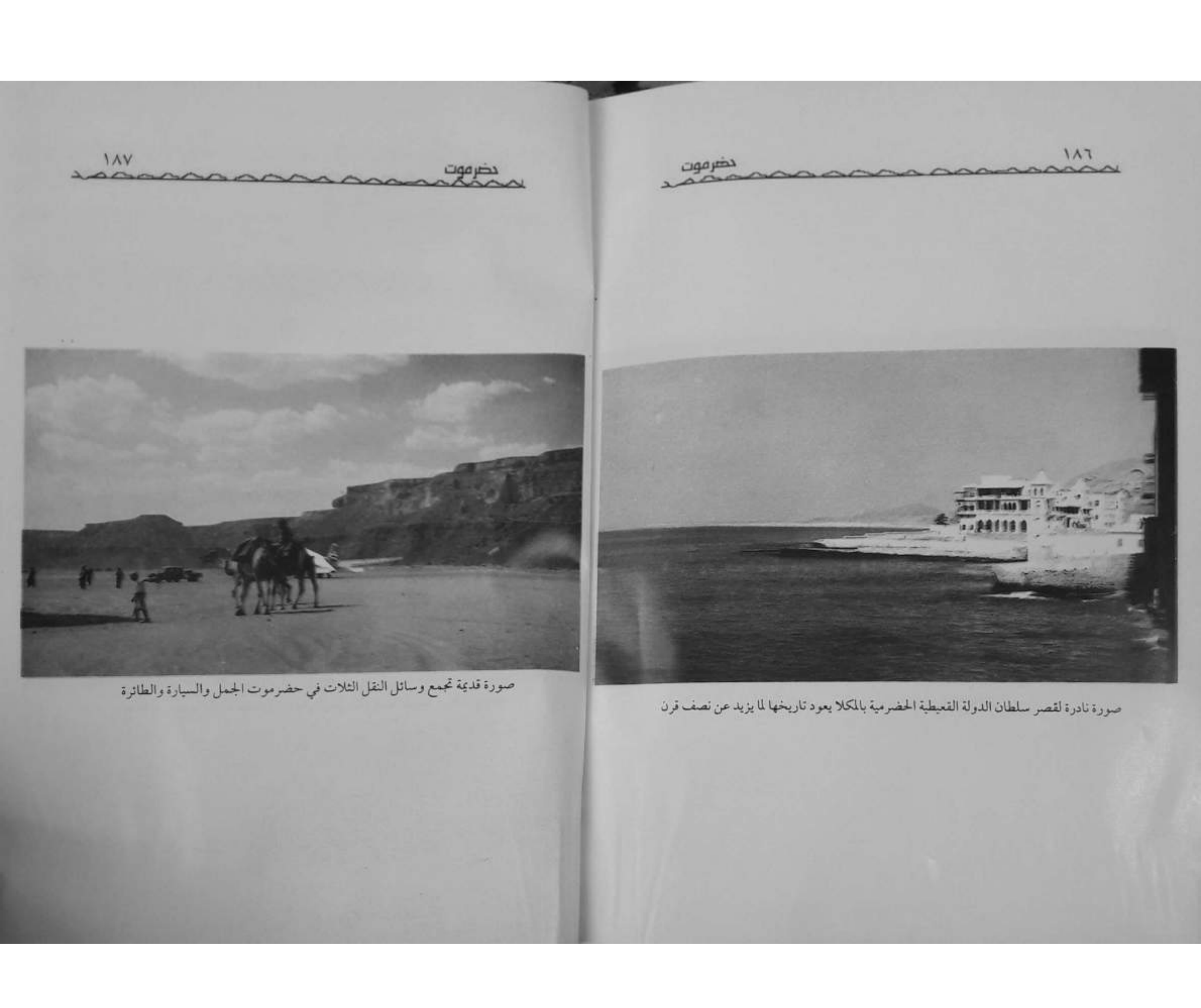
منظر من الجو لمدينة شبام التاريخية الشهيرة

مدخل مدينة المكلا عاصمة الدولة القعيطية الحضرمية من البحر



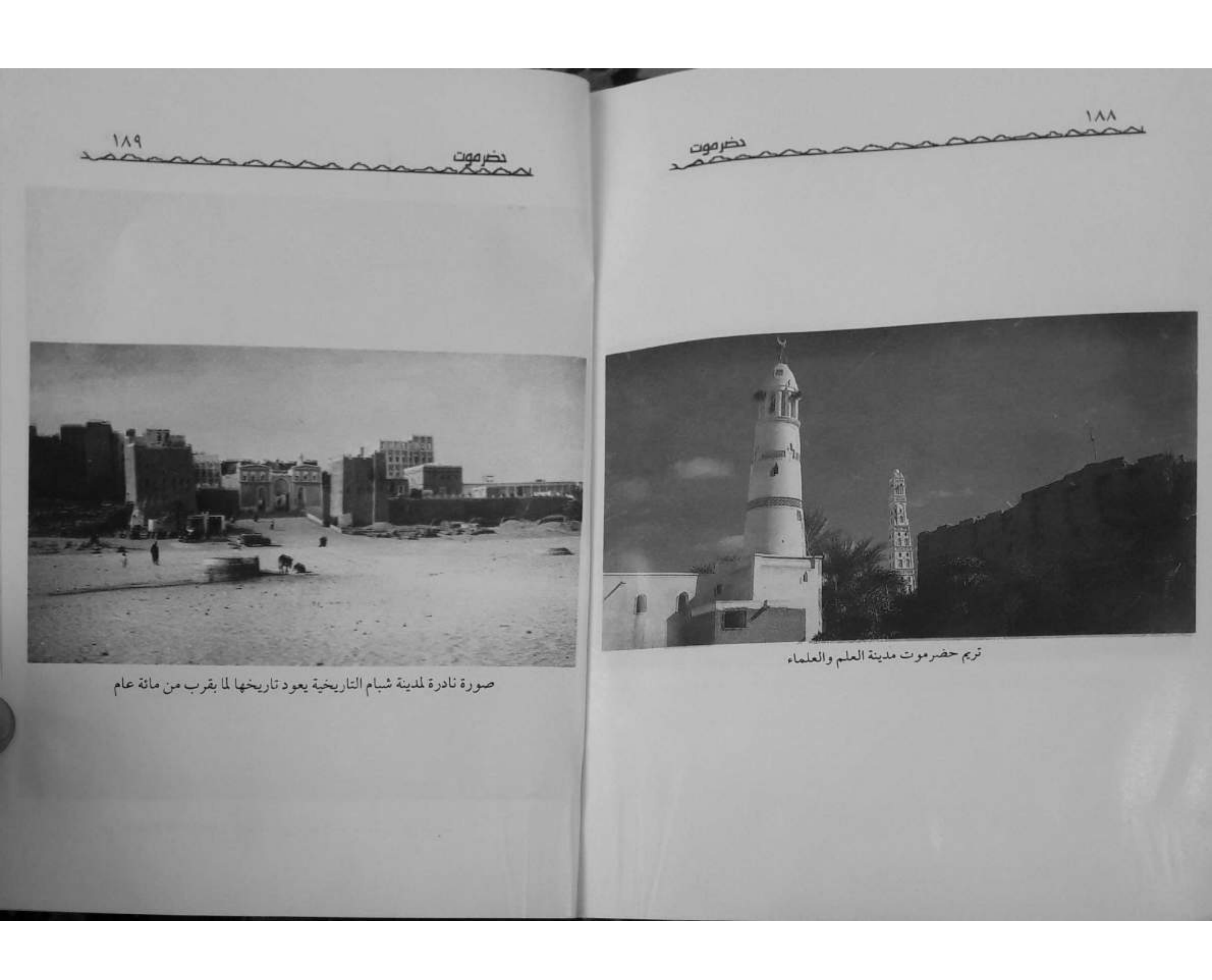
فن العمارة الطينية الصامدة عبر العصور في المدن الحضرمية

قرية الهجرين بوادي دوعن الشهير بإنتاج العسل



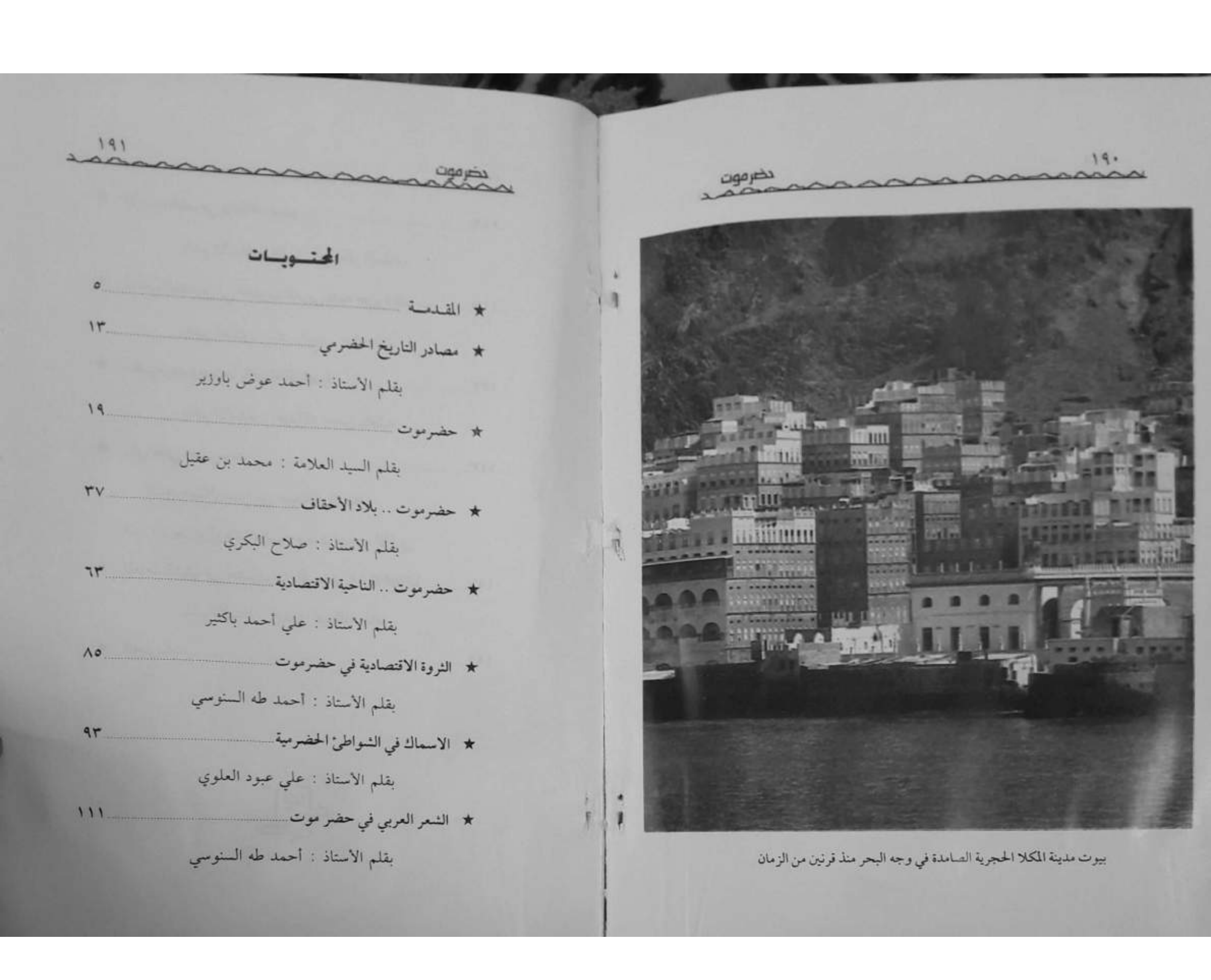
صورة نادرة لقصر سلطان الدولة القعيطية الحضرمية بالمكلا يعود تاريخها لما يزيد عن نصف قرن

صورة قديمة تجمع وسائل النقل الثلاث في حضرموت الجمل والسيارة والطائرة



تريم حضرموت مدينة العلم والعلماء

صورة نادرة لمدينة شبام التاريخية يعود تاريخها لما يقرب من مائة عام



بيوت مدينة المكلا الحجرية الصامدة في وجه البحر منذ قرنين من الزمان

المحتويات

